





د. أحمـــد الأحمـــد

قضايا فلسفيّة

في أخلاقياتِ التواصلِ التكنولوجيّ

قضايا فلسفيّةٌ في أخلاقياتِ التواصلِ التكنولوجيّ

- **قضايا فلسفية في أخلاقياتِ التواصلِ التكنولوجيّ**
- **سلسلة فلسفة الشباب**
- **المؤلف: د. أحمدعبد الله صالح الأحمد**
- **الناشر: وزارة الثقافة**

عمان ـ الأردن ـ شارع وصفي التل ـ ص . ب 6140 ـ عمّان

تلفون: 5699054/5696218 ـ فاكس : 5696598 -بريد إلكتروني: info@culture.gov.jo

رقم الإيداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
٢٠٢١/٧/٣٨٢٢

١٩,٠,٤,٠٠

الأحمد ، أحمد عبدالله صالح

قضايا فلسفية فـي أخلاقياتِ التواصلِ التكنولوجيّ/ أحمد عبدالله صالح الأحمد.- عمان وزارة الثقافة، ٢٠٢١.

(١٠٠) ص

ر.أ. ٢٠٢١/٧/٣٨٢٢

الواصفات:/ التواصل التكنولوجي/ / فلسفة الأخلاق/ / القيم الأخلاقية/

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

- **الإخراج الفني: نسرين العجو.**
- **رقم الردمك** (978 - 9957 - 94 - 656 -2)

فلسفة

د. أحمد الأحمد

قضايا فلسفيّةٌ في أخلاقياتِ التواصلِ التكنولوجيّ

2021

المحتوى

مقدّمة 8

الفصل الأول

ـ التكنولوجيا والتواصلُ الإنسانيٌّ من جانب فلسفيّ 10

ـ مَهَمّةُ الفلسفةِ وأخلاقيات التواصل الإلكترونيّ 16

ـ الفلسفةُ والتكنولوجيا 24

الفصل الثاني

ـ تمثّلاتُ الذات في وسائل التواصل الإلكترونيّ وأثرُها في السعادة النفسيّة 29

ـ الأخلاقُ والفضاءُ الرَّقْمِيّ 36

ـ الواقع المعاش والافتراضيّ 38

الفصل الثالث

ـ المشكلاتُ الفلسفيّة المرتبطة بالتكنولوجيا 48

ـ التواصلُ التكنولوجيُّ وإشكاليّة الهُوِيّة الثقافية
وخصوصيتها 52
ـ الاغترابُ والهُوِيّة الرَّقْمِيّة 62
ـ مشكلةُ تخلخُلِ القِيَمِ في فضاءاتِ التواصلِ التكنولوجيّ 66
ـ الفجوةُ الرَّقْمِيّة 72
ـ خطابُ الكراهية والتنمُّر 80
الخاتمة 92
المراجع 93
أ ـ المراجعُ باللُّغة العربيّة 93
ب ـ المراجعُ باللُّغة الإنجليزيّة 96

مقدّمة

هل تأمّلْتَ ـ عزيزي الشاب ـ في معنى الفلسفة؟

إنّ الفلسفة فنُّ الحياة، وهي فنُّ التساؤل الذي يَحُثُّنا على التفكير الهادف إلى الوصول إلى إجابات منطقيّة شافية؛ لتزيد بذلك من نشاطنا الفكريِّ الذي يُميِّزُنا . والإنسان بِوَصفه كائنًا اجتماعيًّا أو أخلاقيًّا لا يستطيعُ منذ وُجِدَ العيشَ منفردًا، أو أن يعيشَ ـ كما يرى أرسطو ـ فردًا في القطيع، فهو يسعى إلى أن يكون فاعلاً مدركًا، ويحرِصُ على أن يمتلكَ الخيارَ الحُرَّ في إنفاذ أفعاله التي تصدرُ عن تفكير، ويتطلّب ذلك تجاوزَ الرؤية الفرديّة؛ فطالما أنّ الفرد جزءٌ من مجتمع بشري فهو بالضرورة ملتزمٌ بالقانون الأخلاقيّ الذي يحكم هذا النظام، وهو الذي يضمنُ بقاءه واستدامته ويلبّي حاجاتِه ويحققُ رغباتِه.

وَلَمّا كان الإنسانُ الكائنَ الأسمى على هذه الأرض فقد أدّى نشاطُهُ الفكريُّ الفلسفيُّ والعلميُّ إلى تطوّر البشريّة؛ إذ أخذ يبحث عمّا يحقق له الرفاهية والسعادة من خلال علاقته التفاعليّة مع الطبيعة؛ لِذا نراهُ بما يطوّر تكنولوجيا تحقق له هذه المَهَمّة، وصولاً

إلى ما نشهدُهُ من تكنولوجيا رقْميّة ضاعفت قدراته البشريّةَ وزادت من فرص المزيد في الطبيعة وفي الإنسان نفسه.

لنتأمّلْ - أيُّها الشبابُ - في ما قدّمته التكنولوجيا للبشريّة بجانبيها الإيجابيّ والسلبيّ؛ إذ جَلَبَت لهم على نحو عامّ الرفاهية، ولكنّها أفرزت في الوقت نفسه - الثورةَ الرَّقْميّة والتطوّرَ التكنولوجيّ، اللذين أغفلا بعضَ جوانب أنسَنَتها ونجمَ عنهما الكثيرُ منَ الإشكاليات، لا سيّما الأخلاقيّة منها، التي توزّعت في ثلاثة اتجاهات، هي: مشكلاتٌ فلسفيّةٌ قديمةٌ تأثرت بالتكنولوجيا الرَّقْميّة، وأُخرى حديثة حدث فيها تطوّرٌ على نحوٍ جذريّ، ومنها إشكاليّةُ الهُويّةُ الرَّقْميّةُ والاغترابُ الثقافيّ؛ إذ أصبح العديدُ منّا يواجِهُ تحدّياً حقيقياً في القدرة على إبراز ملامح هُويّته الحقيقيّة والتمسّك بها في الفضاء التكنولوجيّ، الذي تتموضعُ فيه الهُويّةُ بين جهتين؛ ارتباطه بثقافته ولُغَته وما يرافقُها من ذاكرة خصبة من جهة، وارتباطه بالهُويّة الرَّقْميّة حيث الواقعُ الافتراضيُّ ذو التعدّد الثقافيُّ والقِيَميُّ الخالي من أيّ ذاكرة أساساً من جهة أُخرى. أمّا الاتجاهُ الثالثُ فقضايا فلسفيّةٌ مستجدّةُ الظهور، مثلُ الفجوة الرَّقْميّة وتفاقمها وتعدّد أبعادها وأشكالها الذي رافقَ زيادة انتشار هذه التكنولوجيا واستخدامَها، كما شهدنا في فترة جائحة كورونا بعد انتقال العمل والتعليم عن بُعد.

الفصلُ الأول

عزيزي الشاب/ الشابّة من المتوقع بعد مناقشة هذا الفصل أن تمتلك معرفةً عمّا يأتي:

1. التكنولوجيا والتواصلُ الإنسانيُّ من وجهة نظر فلسفيّة
2. مَهَمّةُ الفلسفةِ وأخلاقيات التواصل الإلكترونيّ
3. الفلسفةُ والتكنولوجيا

التكنولوجيا والتواصلُ الإنسانيُّ
مِن وجهة نظر فلسفيّة

بداية، ينبغي القولُ إنَّنا نستخدمُ مفهومَ أو مصطلحَ التواصل التكنولوجيّ لاتِّسامِهِ بالشموليّة؛ وَيُقصد به استخدامُ البشر تلك الوسائل التكنولوجيّة وأدواتها وتطبيقاتها في تواصلهم الإنسانيّ، وهي تشمل الإنترنت والمواقع الإلكترونيّة؛ ومنها مواقع التواصل الاجتماعيّ، وأجهزة الحاسوب والتطبيقات التي تستخدم للتواصل من خلالها، إضافة إلى الأجهزة الذكيّة بأنواعها، ومنها الهواتف النقّالة الذكيّة والروبوت والآلة الطابعة ثلاثية الأبعاد وما تحتويه من تطبيقات تُستخدمُ للتواصل عبرَها. وعليه، فإنّ التعريف لا ينحَصرُ -عزيزي الشاب/ الشابّة- في مواقع التواصل الاجتماعيّ فحَسْبُ، وإنّما يتعدّاهُ إلى ما سَلَفَ ذِكرُه.

ولنسألْ أنفسَنا في هذا المقام: مَنْ مِنّا اليومَ لا يمتلكُ وسيلةً - ولو واحدةً على الأقلّ - للتواصل الإلكترونيّ؟ وهل يقف الأمرُ عند اقتنائها فحَسْبُ أم يتعدّى ذلك كثيرًا؟

إنّ هذه الوسائلَ دائمةُ الاقتراب والارتباط بالإنسان الذي

يعتاد على استخدامها؛ لأنّ الفاعليّة التي تَحدُثُ في الذات بفعلِ تأثيرها لا تنتهي ولا تقفُ عند حدٍّ ما، وإنّما تُحدِثُ نوعًا منَ العلاقةِ الوثيقة ما بين الذات وبينها بفعل الاستخدام والتواصل المستمرّين اللذين يجعلان هذه الأدواتِ وتلك التطبيقاتِ امتدادًا لذواتنا؛ لِذا، يرى الكثيرون أنّ المستخدمين قد فقدوا الخيارَ في البقاء بعيدًا عن استخدام التكنولوجيا وأدواتها وتطبيقاتها، ولم يَعُد بمقدور الإنسان الاستغناءَ عنها؛ فوقعتِ البشريّةُ في حتميّة توظيفِها والاستعانةِ بها.

وَلمّا كان التطوّرُ العلميُّ يسعى إلى المزيد منَ الاختراعات المتتالية والمبهرة، فقد نجمَ عن ذلك اختراعُ التكنولوجيا الذكيّةِ أو ما يُسَمّى بالذكاء الاصطناعيّ، حتى إنّ هذا المفهومَ أصبح يُستخدَمُ على نحوٍ أوسعَ مُتَعَدِّيًا الجانبَ الفرديّ، فَبِتْنا نطلقُ مفهومَ المدينةِ الذكيّة التي تضمّ العديدَ منَ التجهيزات الإلكترونيّة والتطبيقات والأنظمة الحاسوبيّة التي تُستخدَمُ داخلَها على نحوٍ ذكيّ. ولكن، أسألُتم ـ أيُّها الشبابُ/ الشابات ـ أنفُسَكم: هل توجدُ مشاعرُ اصطناعيّةٌ على شاكلةِ الذكاء الاصطناعيّ؟

في سياقِ الإجابةِ عنِ السؤالِ سالفِ الذِّكر، نقولُ: إنّ التكنولوجيا بأبعادها المختلفة قد فتحتِ الأُفقَ والمعرفة بطريقةٍ لم

تَكُن من ذي قبل؛ لا بل إننا أصبحنا نتحدّث عن حياة افتراضيّة في مقابل حديثنا عن الحياة الواقعيّة، وقد ظهرت تجلياتُ ذلك في الدَّور الذي أدّته التكنولوجيا لتجعلنا بفعلها نقتربُ أكثرَ باتجاه الافتراض، فابعدتنا جزئيًّا عنِ الواقعِ رغم أنه قديماً لم تكن التكنولوجيا ـ وحتى الحديثة منها ـ تشكِّلُ ذلك الفارقَ إلى حين دخولنا العصرَ الرَّقْمِيّ؛ فالتلفاز مثلًا جمع أمامَهُ الناسَ في جلسات مُعزِّزًا أجواءً منَ العلاقات ومنَ الترابط الأُسريّ، وكذلك الأمر في دور السينما التي كان لها التأثيرُ نفسُه، ولكن في نطاق مجتمعيّ، وفي المقابل فإنّ وسائل التواصل التكنولوجيّ الرَّقْمِيّة ركّزت على الفردانيّة من خلال التواصل في الفضاء الافتراضيّ، ولأنّ التكنولوجيا لا تعترفُ بالحدود الزمانيّة ولا بالحدود المكانيّة فقد اخترقت فيهما أوقاتَنا حتى أقدسها، وأحدثت اختلالاتٍ كثيرةً نشهدُها اليومَ في علاقاتنا الوجاهيّة والتقليديّة على نحوٍ عامّ. ولنا أن نتساءلَ ههُنا: أليسَ الإنسانُ مزيجًا منَ الأفكار والأحاسيس والمشاعر والانفعالات التي يُعَبَّرُ عنها بلُغَةِ الجَسد، حيث لا يمكنُ لِلُغَةِ التكنولوجيا أن تماثلَها في التعبير؛ لأنّها خاصيّةٌ تميّز الإنسانَ دونَ التكنولوجيا؟

وَلَمّا كان مفهومُ التواصل التكنولوجيّ متجدّدًا نظرًا إلى أنّ التكنولوجيا على نحوٍ عامّ نِتاجُ العلم، وكان العلمُ البشريُّ في

صيرورة دائمةِ التجدّد والتطوّر، فإنّ مفهومَ التواصل البشريّ يبقى على نحو عامّ عمليّةً اجتماعيّةً تهدفُ إلى المشاركة بين الإنسان وأخيه الإنسانً، سواءٌ أمشاركةً معرفيّةً كانت أم لنقل الأفكار والتجارب؛ «فالتواصلُ بين البشر عمليّةٌ ضروريّةٌ لامتلاك الأشياء المشتركة بين أفراد المجتمعات (Dewey, 1916: 5). وتشكّلُ تكنولوجيا العصر الوسيط الناقلِ بين طرفي الاتصال (المُرسِل والمُستقبِل)، وَتَعُدُّ ماهيّةُ هذا الوسيط كلَّ ما تؤمّنُ به تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أدواتٍ ووسائلَ حديثةٍ وَرقْمِيّة، من مثل الإنترنت والبريد الإلكترونيّ والمواقع الإلكترونيّة ومواقع التواصل الاجتماعيّ والأقمار الصناعيّة والشبكات السلكيّة واللاسلكيّة والفضائيات المُتَلفزة. وفي التواصل المُعَوْلَم تُكَثَّفُ العلاقاتُ الاجتماعيّةُ العالميّةُ التي تربطُ بين المناطق البعيَدة بطريقة تجعلُ الأحداثَ المحليّة تتشكّلُ على بُعد أميال كثيرة، والعكس صحيح (Giddens, 1984)، والمهمُّ في هذه العمليّة التواصليّة مُحاولةُ فهم خيريّة هذه التكنولوجيا وشرورها، وإدراكُ المسؤوليّة التي تقعُ على عاتقنا، وهو ما أكّدَهُ جلالةُ الملكِ عبدِالله الثاني ابنِ الحسين، حَفظَهُ اللهُ ورعاهُ؛ إذ دعانا إلى تحمُّلِ «مسؤوليتنا كأفرادَ ومجتمعات بألّا نرتضَي لأنفسِنا أن نكون متلَقّين فقط، بل أن نفكّرَ في ما نقرأُ وما نصدق، ونتمعَّنَ في ما

نشاركُ بهِ الآخرين، بحيثُ نُحَكِّمُ المنطقَ والعقلَ في تقييم الأخبار والمعلومات. (مقالة بقلم جلالة الملك عبدِالله الثاني ابنِ الحسين، 2018)

وإذا كنّا نتحدّث عن الأطراف المشاركة في التواصل التكنولوجيّ ذي البُعد الرَّقْمِيّ فلا بدَّ أن نتطرّق إلى هُويّتِهم؛ أي أن نتطرّق بمعنًى أدقَّ إلى مفهوم الهُويّة الرَّقْمِيّة التي تُعرَّفُ بالمُستخدَم أو الشيء عبرَ وسائل التواصل التكنولوجيّ، سواءٌ أبريدًا إلكترونيًّا كان أم حسابًا على موقع إلكترونيّ أم رَقْمَ هاتف أم اسمًا مُستعارًا في تطبيق ما. وعلى الرّغم من أنها هُويّة إلكترونيّة فإنّها ما زالت تندرجُ تحت تعريف هُويّة؛ إذ هي تميّزُ الشخصَ أو الشيء عن غيره عبرَ الإنترنت وعبرَ فضاءات التواصل الإلكترونيّ بأنواعها. (Grassi, P& et al, 2017)

ونودُّ، أيُّها الأعزّاءُ، أن نوضِّحَ لكم ههُنا ـ من بُعد فلسفيّ ـ المقصودَ بإشكاليّة الهُويّة؛ إذ إنّها ليست سوى جزءٍ من مجموعة أُخرى مهمّة منَ القضايا يمكنُ تمييزُها عن بقيّة القضايا الأخلاقيّة؛ فالهُويّةُ مرتّبةٌ على شكل خليط منَ الألوان يُعَبِّرُ كلٌّ منها عن قِيم أو عَن لُغَة أو عن لون أو عن تاريخ أو...، وبعض مكوّنات هذا الخليط يُعَبِّرُ عنِ الارتباط بمجموعة بشريّة معيّنة وعن وجودها

ضمن دائرة ثقافيّة أكبرَ تشملُ الثقافةَ التي تشكّلُ هُويّةَ الدّولة (Okano,1971)، ويظهرُ هذا جَلِيًّا إذا كانت درجةُ التأثُّر بالثقافةِ المهيمِنة كبيرةً، وهذا ما يوجد في فضاءات التواصل الإلكترونيّ ثقافيًّا؛ فللثقافاتِ التي تنتجُ هذه التكنولوجيا وتصدِّرُها حضورٌ ثقافيٌّ هُوَ الأعلى، إضافةً إلى محتواها الثقافيِّ والعلميِّ الأكبر.

وفي ظلّ هذه التحليلات، التي تُرافِقُ عيشَنا في عالَمٍ يتعيّنُ فيه على ذوي الهُويّات المختلفة العثورَ على طريقة للتهيئة والتقارب والتعايش السلميّ معَ الآخرين في هذه الفضاءات، التي تجمتعُ فيها هُويّاتٌ مختلفةٌ من مُتعدّدي الانتماءات الجغرافيّة والثقافيّة والاجتماعيّة من أجل الوصول إلى فهم مشترك يحققُ المصالحَ المشتركة، فإنّ الفضاء الذي قرّرنا دخولَهُ فضاءٌ عامٌّ لا يعبّرُ عن دولة بعينها ولا هيمنة صريحة لثقافةٍ ما؛ وهوَ تواصليٌّ يتيحُ المشاركةَ للجميع.

وعليه، فإنّ هذا يُحيلُنا إلى موضوعنا التالي، المُتَعَلِّقِ بالغاية منَ التواصل التكنولوجيّ وأثرِهِ في العلاقات الإنسانيّةِ على نحوٍ عامّ.

مَهَمّةُ الفلسفةِ وأخلاقياتِ التواصلِ الإلَكترونيّ

بعد أن تطرّقنا ـ أحِبّائي الشباب ـ لا بدّ لنا ههُنا من تعرُّفِ مَهمّة الفلسفة بوَصفِها نشاطًا فكريًّا يَتَّسِمُ بالشمول؛ إذ تتركَّزُ هذه المَهَمّةُ في عمليتها الفكريّة على مرّ العصور على وظيفتي التحليل والتركيب بُغيَةَ إثراء الفهم من خلال توليف المعرفة والسعي وراء الحصول على المزيد منها، وهي توسّعُ في سبيلِ ذلكَ الآفاقَ التي تزيد منَ الخبرة الإنسانيّة في البحث العقلانيّ الّذي يصبُّ التفكيرُ فيه على الحقيقة بعيدًا عن كلِّ التشوّهات والافتراضات التي قد تعيقُ مسارَه، معَ التنويه إلى عدمِ إمكانِ اختزالِ مفهوم التفكير وحصرِهِ في الفلسفيِّ فحَسْبُ؛ فهوَ أعمُّ، والفلسفيُّ أحدُ أنواعه.

ولكن: لماذا نتناولُ هذا الموضوع؟ وما أهميَّتُه؟ ولماذا يجري الوقوفُ على هذه الإشكاليات من جانب فلسفيٍّ، لا اجتماعيّ؟

تَجدُرُ الإشارةُ في هذا السياقِ إلى أنّ الفلسفة تلبّي الحاجاتِ المجتمعيّةَ في الحصول على المعرفة في جانب فلسفيٍّ ما، أو في قضايا مجتمعيّة وإشكاليات معاصرة. ولفهم هذه النقطةِ على نحوٍ واضحٍ

يجب علينا أولًا التمييزُ بين علوم الاجتماع والفلسفة السياسية من طرف والفلسفة الاجتماعيّة من طرف آخر، فالأولى تتميّزُ بـِ«تحليل الظواهر الاجتماعيّة والسياسيّة على نحو نقديّ» (بغوره، 2012: 11)، والبحث في جميع الأشكال التي تُسَمّى الأمراضَ الاجتماعيّة، في حين أنّ الفلسفة تحاولُ الوصولَ إلى حقيقة المشكلات وتحليلَها ووضعَ تعريف دقيق لها وفحصَ المنهج المُتَّبَع في حلِّها والتأكّد من سلامته، كما تحاولُ إثارة التساؤلات في هذه القضايا من خلال تقديم طرح فلسفيٍّ وُجوديّ.

أعزّائي الشباب: لماذا يُعَدُّ التركيزُ على الجانب الأخلاقيّ المرتبطِ بالتواصل التكنولوجيّ في غاية الأهميّة؟

إنّ العلاقة ما بين الفلسفة والأخلاق من طرف وأنماط السلوك الإنسانيّ في التواصل الإلكترونيّ من طرف ثانٍ هي الضمانُ الأولُ في تحقيق الإفادة البشريّة من هذه التكنولوجيا والوسيلةُ الفُضلى لِحُسن استخدامِها على نحوٍ فرديّ وجماعيّ.

وعليه، فَلَمّا تكونُ علاقتُكَ بالتكنولوجيا واضحةً فإنّ الغاياتِ المرجوّةَ من إنتاجها واستخدامها تتحققُ؛ وَبِذا تَعظُمُ فائدتُها. فمثلًا، حاول ـ عزيزي الشاب ـ في أثناءِ استخدامِكَ هذه

التكنولوجيا أن تتأمَّلَ رأيَ الفيسلوف ديكارت في مقولته الشهيرة «إنّني لا أتلقّى أيَّ شيء بوصفِهِ حقيقيًّا»؛ فمضمونُ هذا التلقّي يتمثلُ في تحديد بأمرين، هما: «الوضوح والتمييز» (بغوره، 2012: 35)، وهو أمرٌ لا بدّ من تحليل أبعاده في القضايا الفلسفيّة المرتبطة بهذا التواصل ذي البُعد التكنولوجيّ المُرَقْمَن. وفي ظلّ وجود الضبابيّة في كلّ ما نتلقّاه من معلومات وما يرتبطُ بها من حدود قانونيّة وأخلاقيّة يبدو بعضُها هلاميًّا فقد نَجِدُ أنفسَنا نُعارِضُ هذه المقولة؛ فالافتراضيّةُ تضعُنا في تفاعل مستمرّ لفعل «افترض»، وهو ما يجعلُ التشكيكَ في هذه الحقائق عمليّةً ممكنةً وأمرًا بَدَهِيًّا، ولكنّ الصعوبة تكمُنُ في ما بعد ذلك، وتحديدًا في كيفيّة الاهتداء إلى منهج يجعلُ من شَكّنا أو افتراضنا سبيلًا يقودُنا إلى حقيقة يقينيّة وثابتة إلى حدّ ما.

هنا قد يتبادرُ لذهنك ـ عزيزي الشاب ـ السؤالُ الآتي: ما الأهدافُ الأساسيّةُ منَ الخَوض في قضايا فلسفيّة تتعلَّقُ تحديدًا بأخلاقيات التواصل التكنولوجيّ؟

إنّ من أهمّ الأهداف التي نطمَحُ إليها من وراءِ طرح هذه القضايا عرضَ أهمِّ المشكلات الفلسفيّة التي تواكبُ التطوّرَ

التكنولوجيَّ؛ بُغيَةَ تسليط الضَّوء عليها والحدّ من تفاقمها ونشر الوعي بها، وكذلك عرضَ أهميّة التواصل الإنسانيّ الهادف الذي يصلُ إلى الفهم المشترك، حيث باتَتِ الضرورةُ مُلِحَّةً لدراسة جانبي التكنولوجيا القِيَمِيِّ والأخلاقيّ بُغية تعزيز دورها ولضمان استخدامِها على نحوِ آمن، فضلًا عن تحقيق الغاية المرجوّة منَ التواصل عبرَها وضمان أنسَنَتِها أولًا قبلَ الاهتمام بها في حدّ ذاتها من حيثُ تطويرُها، انطلاقًا من أنها تضمنُ تحقيقَ شروط التواصل التِّقَنِيّ المتعلّقِ بالأدوات والتطبيقات التكنولوجيّة بأولويّةٍ تَقَنيّةٍ تنافسيّة قبلَ الأولويات الأُخرى، كما أنّ إثارة التفكير في هذه الجوانب يتيحُ لنا رؤيةً أوضحَ إلى كيفيّة تعظيم الفائدة من هذه التكنولوجيا وإيجاد الطريقة المُثلى التي تضمنُ استخدامَها الآمن.

إنّ ذِكرَ المشكلاتِ الفلسفيّةِ المتعلّقةِ بالتواصل التكنولوجيّ معَ البحث في أسبابها يُعَدُّ أمرًا في غاية الأهميّة، ولا ينحصرُ ذلك في الجانب الفلسفيّ فحَسْبُ بل يجب أن يتناولَ الجوانبَ المختلفة: الاجتماعيّةَ والثقافيّةَ و...؛ من أجل تسليط الضَّوء على أهميتها بُغْيَةَ نشر الوعي بها والحدّ من تفاقهما.

وقد بات الاعتمادُ على التكنولوجيا واقعًا لا يمكن إغفالُه، حتى

إنّه أصبح لها في زماننا شأنٌ كبير. غيرَ أنّها تجلبُ المخاطرَ في كثير منَ الأحيان على الرّغم من كلّ ما تمتازُ به من إنجازات أسهمت في تطوّر البشر وزيادة رفاهيتهم. والأمرُ يزداد خطورة إذا كانت هذه التكنولوجيا مستورَدةً من مجتمعات دون أُخرى؛ فتكنولوجيا شبكات التواصل الرَّقْمِيّة لا تُعَدُّ مجرّد تكنولوجيا متطوّرة فحَسْبُ بل إنها عابرةٌ للحدود الجغرافيّة والثقافيّة واللُّغويّة التي تتناسبُ معَ سياسة السوق المفتوح؛ حيثُ تظهرُ هيمنة الثقافات وتبرزُ على نحو جَليّ جوانبُ تفوّقها على الأُمم الأُخرى. فضلاً عن أنّ التكنولوجيا أظهرت تفوّقها في تعزيز الفردانيّة، التي تتّفق معَ ثقافة المجتمعات الغربيّة؛ حيث تتشكّلُ للناس في المجتمعات الحديثة هُوِيّاتٌ عامّة ومجرّدة، ما يعني أنهم لا يرون أنفسَهم عمومًا بوصفهم جزءًا من عائلة أو سُلالة.

وفي الوقت نفسِه، يُعَدُّ التواصلُ الحديث المُعولَم، الذي تبدو فيه المواطنةُ عالميّةً، مختلفًا لتجاوز هُوِيّة الفرد مجتمعًا بعينه أو واقعًا جغرافيًّا لترقى إلى أعلى من ذلك بوَصفِها جزءًا في جوهرها منَ البشريّة الواحدة التي لا تتعارض، معَ أنّ مفهومَ المواطنة في الأصل متعدّدُ الثقافات وليس مجرّد ثقافة واحدة؛ فلكلّ مواطن هُوِيّتُهُ الفرديّة التي نمت داخلَ تقاليدَ محدّدةٍ وأوساطٍ معيّنةٍ ويحتاج إلَيها

للحفاظ على هُويّته. ولكن، تبرزُ في الوقت نفسِهِ إشكاليّةُ الهُويّة والخصوصيّة الثقافيّة في ظلّ عولمة الثقافات وارتباطها بالتغيّرات والتبدّلات التي أحدثها التطوّرُ التكنولوجيّ في جميع مجالات الحياة على نحوٍ عامّ وفضاءات التواصل الحضاريّ والثقافيّ في الفضاء السيبرانيّ على نحوٍ خاصّ.

وتبرزُ أهميّةُ دراسة التغيّرات التي طرأت بفعل هذا التواصل الحضاريّ والثقافيّ غير المسبوق في مفهومي الاغتراب والهُويّة الرَّقْمِيّة من حيثُ الدَّور الذي يؤدّيه التواصلُ التكنولوجيّ في التأثير في الخصوصيّة الثقافيّة وفي مفهوم الهُويّة الثقافيّة وفي الموروث القِيَمِيّ والثقافيّ المرافق للتطوّر والتغيّر التكنولوجيّ الذي يخدمُ العولمة على نحوٍ جَليّ، وهذا يقودُنا إلى ضرورة إبراز الجانب الفلسفيّ في دراسة الإشكاليات الفلسفيّة القديمة التي تطوّرت بفعل تطوّر التكنولوجيا، ونحتاج اليوم إلى الوقوف عليها وتحليلها ووضع الحلول لتلافيها وقياسها على ما يستجدُّ من إشكاليات مشابهة نشطت مؤخّرًا. وعليه، استدعت الأهميّةُ إثارة تفكيرك ـ عزيزي الشاب ـ في التساؤلات الآتية:

ـ كيف يؤثّرُ التواصلُ التكنولوجيُّ في الهُوِيّة الثقافيّة؟

ـ هل طرأ تحوُّلٌ على مفهوم الاغتراب بسبب الهُوِيّة الرَّقْمِيّة والتواصل التكنولوجيّ؟

ـ كيف تكونُ اللّغة، بِوَصفِها إحدى مكوّنات الهُوِيّة الثقافيّة، عائقًا أمامَ التواصل العالميّ؟

ـ هل تؤثِّرُ العمليّة التواصليّة الرَّقْمِيّة في الهُوِيّة الثقافيّة؟

ـ هل الهُوِيّةُ الرَّقْمِيّةُ المُهَجَّنَةُ في طريقها إلى طمس الهُوِيّة الحقيقيّة؟

ـ ما الهدفُ الذي يمكن أن يحققه التواصلُ التكنولوجيُّ بين الثقافات؟

ـ كيف يمكنُ مجابهةُ المحتوى الثقافيّ المُستَورَدِ والمُسَيْطِرِ عالميًّا؟

ـ هل تقفُ التعدديّةُ والاختلافاتُ الثقافيّةُ عائقًا أمامَ التواصل العالميّ وتطوّر الأُمم؟

ـ كيف يمكنُ مواجهةُ الاغتراب في هذه البيئة التي تجعلُنا بعيدينَ عن واقعنا في الطرف الأوّل وتحولُ دونَ دخولِنا الواقعَ الافتراضيَّ في كلِّ جوانبه من طرف آخر؟

أخي الشاب

حاولِ الإِجابة عن هذه الأسئلة قبلَ مواصلة القراءة، ثمَّ قارن بينَ ما ستقرأُ وإجابتك.

الفلسفةُ والتكنولوجيا

أيُّها الشاب/ أيَّتُها الشابّة

نطمحُ، من طرحنا هذا العنوان، إلى استثارة التفكير والتأمّل والفهم قبل الخوض في موضوع قضايا فلسفيّة في التواصل التكنولوجيّ؛ وذلكَ لطبيعةِ العلاقة ما بين الفلسفة والتكنولوجيا؛ فقد عُنيت الفلسفةُ بِعِدّة مباحثَ وشملت جميعَ فروع المعرفة، لا سيّما قبل انفصال العلوم عنها، وتلخّصت مباحثُها في مباحثَ رئيسةٍ، هي: مبحث الوجود والمتافيزيقيا ومبحث المعرفة ومبحث القِيَم، وتندرجُ الأخلاقُ تحتَ مبحث القِيَم؛ حيثُ البحثُ في المعايير الأخلاقيّة المرتبطة بالسلوك الإنسانيّ في الفلسفة على نحوٍ عامّ وفي فلسفة التكنولوجيا من حيثُ إنتاجُها واستخدامُها على نحو خاصّ. كما أنّ فهم تأثير التكنولوجيا المرتبط بالوجود الإنسانيّ يتطلّب فهمَ طبيعة التكنولوجيا وأن تمارس الفلسفة مَهَمَّتَها في التحليل والنقد ثمّ وضع التصوّرات. والفلسفة التحليليّة تجعلُنا نفهمُ القضيّة المتداولة وتمكّنُنا من وضع التصوّرات التي توصلنا في النهاية إلى حقائقَ تمحو بها العديدَ منَ الشُّكوك وتحوِّلُ بعضَها

الآخَرَ إلى حقائقَ منطقيةٍ من خلال استخدامها أدوات المنطق، وبعد أن تحدّد المنهج الأنسبَ الذي يصلُ بنا بِتَدَرُّجِهِ نحوَ الحقيقة.

إنّ التكنولوجيا تطبيقٌ عمليٌّ للعلم، فهي نتاجُه، والفلسفة تبحث في استخدام العلم والفائدة منه، وبهذا فهي ترتبط بالمنفعة أو الانتفاع الناجم عنِ التطبيق، ولكنَّ الانتفاع في التكنولوجيا يشوبُهُ العديدُ منَ التساؤلات في مدى تحقيق المساواة والعدل للبشريّة في هذا الجانب، وفي مدى إذا كانت حكرًا على طرف فتحرمُ بذلك أطرافًا أُخرى. فهل تسيطرُ هذه التكنولوجيا على الطبيعة أم على الإنسان نفسِه؟ أهي تكنولوجيا تحوّلُ الأشياء والإنسان ـ مجازًا ـ إلى أدوات، كما يرى بعضُ الفلاسفة؟

حاول ـ عزيزي الشاب ـ أن تضع إجاباتَكَ الخاصّة حولَ هذا الموضوع.

إنّ هذه الأسئلة الوجوديّة جميعَها تُعنى بالوجود البشريّ، وكلُّ هذه الموضوعات بحاجة إلى نقاش فلسفيّ نقديّ للإجابة عن «كيف يمكن أن تنعكسَ العلاقةُ بنموّها الطبيعيّ بين التقدّم التِّقَنِيّ وعالم الحياة الاجتماعيّ؟ وكيف يمكنُ أن توضع تحتَ رقابة نقاش عقلانيّ؟» (هبرماس، 2003: 98)، لا سيّما

أنّ تكنولوجيا المعلومات قد أتاحت أكبرَ عمليات التواصل الاجتماعيّ والحضاريّ والثقافيّ على المستوى الإنسانيّ، وأدّت إلى تسارع التعاملات المجتمعيّة وتغيّر أنماط الحياة والقِيَم؛ فبعض الفلاسفة، ومنهم جون بارلو(John Barlow) ، يؤكّدون أنّ سلوكاتٍ وتصرّفاتٍ قد أُدخلت بواسطة التكنولوجيا، خاصّةً «التكنولوجيا الحديثة، بحيث إنّ الأُطُرَ الأخلاقيّة السابقة لم تَعُد قادرة على احتوائها.(Barlow, 1991)

أمّا الفيلسوف هايدغر، فَعَدَّ التكنولوجيا «أفقًا فكريًّا وطريقةَ انكشاف وكيفيّةً في التفكير ونمطًا للعلاقة معَ الآخرين ومعَ العالَم» (سبيلا، 2009: 207)، مؤكِّدًا أنها نمطٌ في الوجود، وهو بالفعل ما أحدثه التواصلُ عبرَ تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من تشارك معرفي بمعناه الأشمل، ومشاركة الخبرة الإنسانيّة الذي انعكس على طبيعة تفكيرنا وعلى طبيعة تصرّفاتنا وسلوكنا، وقد شكّل هذا التشارك الذي أَمَّـنَـهُ التواصلُ التكنولوجيّ غير المسبوق للأفراد على نحوٍ عالميّ خبرة الوعي الذاتيّ التي أشار هيجل إلى أنها ناجمةٌ عن «خبرة التفاعل الذي أتعلّم منه أن أرى نفسي بعينيّ الذات الأُخرى» (هبرماس، 2003: 11)، لا سيّما أنّ

هذه الذات الأُخرى قد تنتمي إلى مجتمعات وثقافات متعدّدة الهُوِيّات.

نفهم من طرحنا السابق العلاقة المتأصّلة ما بين الفلسفة والتفكير الفلسفيّ من جانب والتكنولوجيا من جانب آخر، وَنَخلُصُ إلى أنّ مباحث الفلسفة ترتبط في جميع حقول المعرفة، ولذلك نشهد بعض المفاهيم الفلسفيّة الجديدة، ومنها فلسفة التكنولوجيا والمفاهيم التي تندرج تحتها، إضافةً إلى تلك المفاهيم المرتبطة بالتطوّر العلميّ التي رافقت انفصالَ العلوم عن بعضِها بعضًا إلى تخصصات متعدّدة؛ ولذلك فإنّ الفلسفة تجدِّدُ نفسَها وتواكبُ التطوّرَ البشريَّ في كلّ جوانبه، ممّا يضعُ اليومَ على عاتقنا إيلاءَها المزيد منَ الاهتمام؛ لكي نضمن سيرَ هذا التطوّر في الطريق السليم الذي يخدمُ الإنسان بمفهومه الشمولي بعيدًا عن أيِّ بُعد آخَرَ أو غاية أُخرى.

الفصلُ الثاني

تمثّلاتُ الذات في وسائل التواصل الإلكترونيّ وأثرُها في السعادة النفسيّة

- الأخلاقُ والفضاءُ الرَّقْمِيّ
- الواقعُ المعيشُ والافتراضيّ

تمثّلاتُ الذاتِ في وسائلِ التواصلِ الإلكترونيِّ وأثرُها في السعادةِ النفسيّة

لقد رافقَ تأثير التكنولوجيا في العالم وفي محيط الإنسان تغيّراتٌ عِدَّة، لا بل شملَ التأثيرُ ما هو داخلَ الإنسان ذاتِه، فاستخدامُ تكنولوجيا المعلومات أثّرَ في تفكيرنا وعقولنا وأجسامنا وعواطفنا وإحساسنا. وعليه، فتأثير التكنولوجيا فينا يزيد من مجال الخيال ويمنح مساحة أوسعَ لمحاكاة ما لا يمكن تحقيقه في الواقع ويفتح المزيد منَ الآفاق الفكريّة. أنّ التطور في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات قد فاق كلَّ التوقعات، وقد، «أثبتت الدراسات أنّ الحوسبة والإنترنت قد ساهما في تحسين شعور الرفاهية» (Shapira,2007). وكما سَلَفَ ذِكرُه، فلم يَعُد بالإمكان الاستغناء عن هذه التكنولوجيا، لا بل لم يَعُد بالإمكان معرفة الحدود التي قد يصلُ إليها هذا التطوّر، وما ستؤول إليه الأمور، وما قد يظهر من ثورات رَقْمِيّة جديدة تنعكسُ على الحياة البشريّة فتغيّرُ نمطَها كما فَعَلَتِ الآن.

هل تتّفِقُ ـ عزيزي الشاب ـ مَعَنا في أنّ تركيزَنا على امتلاك

التكنولوجيا واستخدامها قد افقدَنا التفكيرَ في جانبها السلبيّ وحالَ بينَنا وبينَ نقدِها؟

إنّ الهدف منَ التكنولوجيا واستخدامها تحقيقُ رفاهية البشر في حياتهم المعيشة، وذلك من خلال تقليل الجهد والمال والوقت، إضافةً إلى زيادة قدرات البشر على إنجاز الأعمال التي يؤدّونها. ولهذا، فإنّ التكنولوجيا ـ على الأغلب ـ تجلبُ السعادة للبشريّة، ولكنها في الوقت نفسِه لا تخلو منَ الآثار السلبيّة التي قد تنجمُ عنِ استخدامها، وهي آثارٌ سلبيّةٌ تنجمُ عن إساءة استخدام هذه التكنولوجيا وأدواتها؛ إذ منها ما يؤثِّرُ في الإنسان نفسِه، ومنها ما يؤثِّرُ في الكون.

إنّ الغاية من أفعال الإنسان، سواء أنفّذها بواسطة التكنولوجيا وأدواتها أم بدونها، الوصولُ إلى السعادة، فغايةُ الفعلِ في النهاية تحقيقُ السعادة سواء للفرد أو للبشريّة. فما السعادة؟

تتعدّد الآراءُ والتعريفاتُ حولَ مفهوم السعادة الذي يرتبط بالكثير من جوانب الحياة المختلفة، وكذلك بجوانبَ فكريّةٍ ونفسيةٍ وفلسفية، ففي الجانب الفلسفيّ يتباينُ تعريفُ السعادة بين الاتجاهات والمذاهب الفلسفيّة؛ وذلك لارتباطها بمجموعة

أُخرى منَ المفاهيم، مثل: العدل، والثقة، والقوة، والعقل، والمعرفة، والصحة، و...، كما يُعَدُّ قياسُ السعادة نسبيًّا؛ فهيَ مثلُ الجمال، لا يوجدُ له مثالٌ واضحٌ أو قالبٌ معيّنٌ يُنسَبُ إليه أو يُقارن به أو يُقاس عليه.

وقد تباينَ تعريفُ هذا المفهوم لدى الفلاسفة قديماً وحديثًا بسبب ارتباطه بالمنهج الفلسفيّ وبحقل هؤلاء الفلاسفة المعرفيّ، فنجده يقتربُ من تعريف النَّفْس لدى افلاطون وأنه يبدأ منها، ويراه أرسطو نسبيًّا ويعتمد علينا وهو مرتبطٌ على نحو رئيس بالمعرفة، وهو الأمرُ الذي يشكّلُ موقع اتفاق في كلّ العصور؛ فالمعرفةُ والقِيَمُ يترابطان جوهريًّا. أمّا الفلاسفةُ اللاحقون، مثلُ نيتشة؛ فقد ربطها بالثقة والقوة التي يتولّد شعورُها فينا، وذهبَ كانط إلى ربطها بالأخلاق، فالسعادة من وجهة نظره ليست مستقلّة، وَعِلْمُ الأخلاق هو الذي يوضّح لنا معانيَ الخير والشر، ويبيّن لنا الصورة المُثلى التي لا بدّ أن يتّبعها الناسُ في تعاملهم معَ الآخرين؛ فهو «العِلمُ الذي يحكم على مثل هذا السلوك بالصواب أ بالخطأ بالصلاح أو بالطلاح» (ليلي، 2000: 26). وقد وجد أتباعُ المذهب النفعيّ في السعادة أنها ذات قوة عكسيّة معَ دافعيّة رغبات النَّفْس وإشباعها، كما أنها إحدى غايات الفعل، وَمِنْ ثَمَّ

فهي مقاييسُ الأخلاق، «وهي الغاية الوحيدة للفعل البشريّ، وتنميتها يمثِّلُ الاختبارَ الذي يمكن من خلاله الحكمُ على السلوك البشريّ». (مل، 2012: 83)

نفهمُ من هذا الطرح -عزيزَيَّ: الشاب والشابّة- أنّ السعادةُ قد تتمثَّلُ في ثقتنا بأنفسِنا، وهذا يرتبطُ بمخزوننا المعرفيِّ والأخلاقيّ، وأننا ذواتٌ فاعلة في أبعاد العمليّة التواصليّة عبرَ هذه التكنولوجيا، وأننا نركّزُ على الوضوح في مسار استخدامنا وقادرون على التمييز بين الخير والشرّ بما يحكمُ تواصلَنا معَ الآخرين، كما قد يرى بعضُ المفكّرينَ أنّ هذا التواصلَ هو القادرُ على جلب المنفعةِ أو اللّذة التي تشبعُ رغباتِنا، وهي ما يدفعُنا للتصرّف بالطريقة التي نسلُكُها عبرَ استخدامنا للتكنولوجيا والتواصل من خلالها.

وقد ارتبطت علاقةُ الإنسان بالإنسان واقعيًّا وتاريخيًّا من ناحية وعلاقتُهُ بالكون من ناحية أُخرى بعاملي الزمان والمكان؛ وهي بذلكَ لا يمكنُ أن تشابه تمامًا تلك العلاقة التي يمثّلُها الواقعُ الافتراضيُّ والعلاقاتُ التي لا تخضع للحدود الزمانيّة والمكانيّة، وتخفي العديد منَ المعارف والصفات لا بل تخفي أحيانًا الوجه الحقيقيَّ والهُوِيّة الفكرية على نحوٍ عام. ومعَ أنّ الإنترنت

تتيح عمليّة التواصل للفرد بسهولة وفعاليّة معَ جمهور لا حدود له دونَ الكشف عن الهُوِيّة نسبيًّا (United Nations Office On Drugs And Crime,2012:3 -15)، إلّا أنّ ذلك الأمرَ يتعدّى موضوع الهُوِيّة إلى ما هو أعمقُ من ذلك بكثير.

وَتُعَزِّزُ تكنولوجيا التواصل الرَّقْمِيّ الجانبَ الفرديَّ، كما تُحَقِّقُ السعادة الفرديّة للكثيرين ممّن يفتقدونَ إليها في واقعهم المعيش، أو قد لا يؤمّنها لهم مجتمعُهم الصغيرُ على قدر ما يكون مجتمعًا كبيرًا؛ فهو محدودٌ ولا يرقى إلى حجم المجتمع الافتراضيّ الذي لا يعترف بالحدود أصلًا، فالمتناهي واللامتناهي لا يمكنُ لهما التساوي. ولذلك، فإنّ الكثيرين يجدون في هذا التواصل التكنولوجيّ «اللذة» أو «السعادة»، وهو ما يتفقُ معَ رأي الفيسلوف أرسطو طاليس في مقولته «الكيفُ هو الفضائل، والكَمُّ هو المقياس، والإضافةُ هو النافع» (السيد، 1924 :182). وعلى الرّغم منَ التركيز على الذات في هذا التواصل فتجدرُ الإشارة إلى أنّ المجتمع الافتراضيَّ ليس مجرّد مكان عامّ، ولكنه مجتمعٌ مبنيٌّ على أساس التفاهم (Rheingold, 1998 : 115- 124)، تندمجُ فيه ذواتُنا بطريقة تشابه أفعالَ الذوات الأُخرى سعيًا إلى تحقيق ما يُلبّي رغباتِها ويحقّقُ سعادَتَها.

ولكن، هل لدينا إجابةٌ واضحةٌ عمّا إذا كان التواصلُ التكنولوجيُّ يعزّزُ مِنَ «الأنا» أم لا؟

يمتازُ استخدامُ وسائل التكنولوجيا بالطابع الفرديّ بالدرجة الأولى، كما أنّ التواصل التكنولوجيَّ لا يختصُّ بفئة عمريّة معيّنة، وفي المقابل فإنّ الاهتماماتِ تختلفُ من مُستخدِم لآخَرَ، وإذا صنّفنا المُستخدِمين إلى فئات عمريّة نجد أنّ الأطفال تتزايدُ اهتماماتُهم باستخدام الألعاب، وهو ما يجعلُ بعضَ الشركات التي تُدير مواقعَ التواصل أو المواقعَ الإلكترونيّة تستغلُّ هذا الجانب؛ فالكثير من برامج الألعاب «تخدمُ مصالحَ الشركات من خلال تحفيز دوافعِ الأفراد.(Kim & Werbach, 2016: 160)، وهو ما يجعلُ مِنَ «الأنا» أُولى المصالح والاهتمامات.

وَتُعَدُّ نسبةُ فئة الشباب الأعلى من بين المُستخدِمين من حيثُ تبايُنِ اهتماماتها؛ فكثيرٌ منهم ممّن يبحثُ عن فُرَص ترسمُ لهم مستقبلَ حياتهم يجدونها وسيلةً لتحقيق ذلك، في حين أنّ اهتماماتِ الفئاتِ الأكبرَ عمرًا تتركّزُ في اتجاهات مختلفة أيضًا، مثل تداوُل المقالات وقراءة المواقع الإلكترونيّة بأنواعها. وفي الغالب، فإنّ ما يحققُ سعادة الفرد لا يكون بمعزل عنِ الآخرين، وهو

ما يدفعُ الكثيرين إلى استخدام هذه التكنولوجيا. وهنا نستذكرُ برتراند رسل، الذي قالَ إنّ «الإنسانَ السعيد هو ذاك الذي لا تكون شخصيته منقسمة على ذاتها، وليست في خصام معَ العالَم» (رسل، 1995: 187). معَ أنّ الحالَ في العالم الافتراضيّ يختلفُ تمامًا؛ فالكائناتُ والأشياءُ التي نشهدُها لا تتوافقُ تمامًا معَ الواقع؛ ممّا يجعلُها تُوَلِّدُ فينا بعضَ التناقضات في المفاهيم والقِيم والتصرّفات.

وبذلك ـ عزيزي الشاب ـ فإنّ تحديد أهدافنا مِنَ استخدام هذه التكنولوجيا والإفادة منها ورسم خريطة لها وتحديد مساراتها في أذهاننا أمرٌ في غاية الأهميّة؛ فتعظيمُ الفائدة منها لا يتحقَّقُ بترك ميولنا المبنيّة على المشاعر التي تحكمُ تصرُّفاتِنا فقط، بل بتحكيم العقل وتفعيل دوره من خلال تقييم أفعالنا وتحديد الغايات منها، وإلّا سَيُعَدُّ هذا الفعلُ والوقتُ الذي نمضيه في استخدام التكنولوجيا جهدًا ضائعًا يستنزفُ حياتَنا وعقولَنا وإبداعَنا.

الأخلاقُ والفضاءُ الرَّقْمِيّ

الإنسانُ كائنٌ اجتماعيٌّ وكائنٌ أخلاقيٌّ في الوقت نفسه؛ فهو لا يستطيعُ العيشَ منفردًا؛ إذ ينتمي إلى المجتمع الذي يدخلُ البُعدُ الأخلاقيُّ في تشكيل هُويَّتِه وتحكمُهُ العاداتُ والتقاليد، التي ترتبطُ أيضًا بالعناصر الأُخرى كالمكان والزمان واللّغة والدين و...، وهو أيضًا ما يشكِّلُ الهُويّة الثقافيّة. ويتواصلُ الإنسانُ معَ الآخرين منطلقًا من هُويّته التي تعبِّرُ عنه وتمثّله. ومن جانب مفاهيميٍّ أعمّ، فلَمّا كانتِ الثقافةُ ما تزالُ تندرجُ تحتَ مفهوم الهُويّة فيمكنُ عَدُّها وسيلةً للتواصل؛ فالإنسانُ يبني فعلَهُ التواصليَّ انطلاقًا من موروثة الثقافيّ ومن عاداته وتقاليده التي ترسّخت لديه خلالَ عيشه معَ الآخرين واتصاله بهم داخلَ مجتمعه الثقافيّ، ممّا يمنحُهُ القدرة على إدراك ذاته الخاصّة، ليعترف بها الآخر. وهذا يحتكمُ إلى الأخلاق التي تحكمُ تصرُّفاتِنا وتوجِّهُ سلوكَنا. وعليه، فالجميعُ يتفقُ على أنّ للأخلاقِ على نحوٍ عامّ غايةً أسمى وبُعدًا يتمثلُ في إعطاء معنًى لحياتنا.

وسؤالي لكما؛ أخي الشاب وأختي الشابّة: هل هناك اختلافٌ بين مفهومِكَ للأخلاق في الواقع عنه في الفضاء الرَّقْمِيّ؟

إنّ الأخلاق تنقسمُ ـ على نحو عامّ ـ إلى نوعين، هما: الأخلاقُ النظريّةُ والأخلاقُ العمليّة، وقد تكونُ الأخلاقُ النظريّةُ اختصاصًا فلسفيًّا، أو يمكنُ حصرُها بفئة العلماء المتخصّصين في هذا المجال المهتمّين بوضع النظريات المتعلّقة بهذا الشأن، أمّا الأخلاقُ العمليّةُ فهي منَ اختصاص الناس جميعًا، وإن كان بعضُهم لا يفرّقُ بينها وبين أخلاقيات المهنة التي هي جزءٌ منها؛ فالأخلاقُ العمليّةُ هي التي تقولُ رأيَها الفصلَ في المبادئ والنظريات الأخلاقيّة من واقع عمليّ، فَمَنْ منّا لا يشتغلُ بها؟

ولكن، هل تَرَيا، عزيزيَّ الشاب والشابّة، أنّ الأخلاقَ في العالَم الرَّقْمِيّ ـ «الأخلاقَ الرَّقْمِيّةَ» إن جاز التعبير ـ نوعٌ ثالثٌ مُستَجدّ؟

بعضُهم يُسَمّيها الأخلاقَ الرَّقْميّة، التي ظهرت بعد تغلغُلِ التكنولوجيا في مجالات الحياة كُلِّها: الاجتماعيّةِ والسياسيّةِ والاقتصاديّةِ والثقافيّة و...، وقد أثّرَ انتشارُ الطابع الإلكترونيّ في التعامل الإنسانيّ وفي علاقة الإنسان بأخيه الإنسان؛ فَكَسْرُ الحواجزِ الزمانيّةِ والمكانيّةِ وحدودِهِما جعلَ الإنسانَ في مواجهة

حقيقيّة معَ ضرورة إعادة التفكير في كلّ ما يربطُهُ بفعلِهِ التواصليِّ بأخيهِ الإنسان من جانب وبالتكنولوجيا الرَّقْمِيّةِ من جانب آخَر، كما أنَّ الأخلاقَ الرَّقْمِيَّةَ ترتبطُ بالمهامّ التي يمكنُ تنفيذُها من خلال التكنولوجيا، وهو ما يَعُدُّهُ بعضُهم أحدَ أخلاقيات المهنة.

ولكنّ الحقيقة أنّ الضبابيّة بأنواعها في حدود الفضاء الرَّقْمِيّ، لا سيّما الحدود القانونيّة والأخلاقيّة، هي ما يجعلُ منَ الصَّعب تقييمُ الفِعل ومدى صوابه في بعض الأحيان، سواء أفي الجانب الأخلاقيّ كان يصبُّ أم في الجانب القانونيّ؛ فَبتَعَدُّدِ الثقافات والمجتمعات تتعدَّدُ القوانينُ وبعض السلوكيات الأخلاقية، كما تتعدَّدُ الأحكامُ على الأفعال التي تُعَدُّ مقبولةً أو منافيةً بناءً على ما سبق. علماً أنّ هذه المعاييرَ وتلكَ الاعتبارات لم تكن على هذا النَّحو في تطبيق القانون، ولم تكن بحجم هذا الانتشار الذي دَمج هذه الثقافاتِ في ثقافة افتراضيّة رَقْمِيّة؛ فهي وإن كانت ـ كما نُسَمّيها ـ مجتمعات افتراضيّة فإنها ما زالت تندرجُ تحتَ المفهوم نفسِه، كما أنها ـ بالفعل ـ تضمُّ المواطنين ذوي الهُوِيّات الرَّقْمِيّة.

الواقعُ المُعاش والافتراضيّ

إنّ الاختلاف في المعايير الأخلاقية واختلاف بعضها من مجتمع لآخر عبر فضاءات التواصل الالكتروني يبدو جليًا، ولكن الاختلاف في معايير المجتمع ذاته إذا انتقل الفرد فيه من الواقعية إلى الافتراضية يعتبر أكثر تعقيدًا. وفي ظلّ هذه النقاشات، أطرَحُ عليكُما ـ عزيزيِّ الشاب والشابّة ـ سؤالًا يتمحوَرُ حولَ: هل يحوي الواقعُ المُعاش قضايا غيرَ مقبولة بينما نجدُها مقبولةً في العالَم الافتراضيّ؟

الجوابُ بالتأكيد سيكونُ نعم، لا بل على نحوٍ يفوقُ التوقعات، ولكن كيف؟

يتّفقُ الجميعُ في حكمهم على كبائر الأُمور في القضايا القانونيّة والأخلاقيّة، من مثل «القتل»، بأنها أمرٌ غيرُ مقبول في الحياة الواقعيّة، ولكن على العكس من ذلك فإنّ القتلَ في الواقع الافتراضيِّ أمرٌ مقبول، ويتحقّقُ ذلكَ في الألعاب الإلكترونيّة، وهذا تناقضٌ في القِيم والمبادئ قد ينعكسُ سلبًا على واقعنا، لا

سيّما على مَنْ هم في سِنّ الطفولة؛ حيث لا زالوا في طَور اكتساب الأخلاق وغرسها في نفوسِهم، الأمرُ الذي يجعلُ من هذه المَهَمّة صعبةً نسبيًّا.

إنّ تأثيرَ التكنولوجيا في دَور العواطف في اكتساب الأخلاق وانتقالها واضحٌ وجليٌّ؛ فقد أدّى هذا الأثرُ إلى توسيع الفجوة بين جيلي الآباء والأبناء ونجمَ عنهُ تنامي الصّراع بينهما؛ فالتطوُّرُ التكنولوجيّ، خاصّةً تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وظهورُ مواقع التواصل الاجتماعيّ أحدثَ ثورةً عظيمةً في مجال التواصل الإنسانيّ، إلّا أنه أحدث في الوقت نفسِهِ شرخًا كبيرًا في طبيعة العلاقة التي تغذّيها العواطفُ والمشاعرُ والأحاسيسُ بين البشر، لا سيّما بين أفراد الأُسرة الواحدة وخير دليل على ذلك ما نشهده من هدر الوقت بالانشغال في استخدام وسائل هذه التكنولوجيا منعزلين حتى عَمَّنْ نجالسهم.

ولقد أحدثت هذه التغيّراتُ التكنولوجيّةُ تفاعلاتٍ جديدةً وتخلخلاتٍ أدّت إلى إشكالياتٍ اجتماعيّةٍ وثقافيّةٍ مختلفةً، أضف إلى ذلك إشكاليّةَ الاغتراب في المجتمع بسبب الفجوة بين مهارات الأجيال. وكذلك، فإنّ التكنولوجيا والمعلوماتِ التي يمكنُ

الوصولُ إليها بطريقة غير تقليديّة أدّت في بعض الأحيان إلى أن تُستبدَلَ بها بعضُ أدوار الآباء وَتَحُلَّ مكانَها، فأصبح الإنترنت مصدرَ معلوماتهم وتوجيهاتهم في كثيرٍ منَ الأحيان، وأصبحَ الحوارُ معَ الغُرباء في الفضاء الواسعِ بديلًا عن الدَّور الذي يؤدّيه الآباء؛ وَبِذا فُقِدَ جزءٌ منَ الترابط الأُسريّ، ممّا أَدّى بدوره إلى مزيدٍ منَ العزلة بين الأفراد.

هل فكرت -عزيزي الشاب- في حلولٍ ممكنةٍ أو ناقشت هذه القضايا بهدف حلّها؟

إنّ هذه إحدى المشكلات التي نواجهُها بسبب انتشار التكنولوجيا وانتشار استخدامها، فما الحلولُ الممكنةُ إذن؟

عزيزي الشاب/ عزيزتي الشابة: بناءً على ما سَلَف، هل تنصحانِ بالتوقُّفِ عنِ استخدامِ التكنولوجيا وتريانِ ضرورةَ الإحجام عنها؟

إنّ التوقُّفَ عن استخدام التكنولوجيا أمرٌ غيرُ منطقيٍّ ولا يمكنُ تحقيقُه، ولذلك لا يمكنُ عَدُّ رفض التكنولوجيا أو الرقابة الصارمة عليها حلًّا جذريًّا، ولكنَّ بدايةَ الحلِّ قد تكمُنُ في زيادة مساحة الحوار ومحاولة الآباء وَكِبارِ السِّنِّ اقتحامَ هذا المجهولِ

والاقترابَ منه ومواجهتَه، كما أنّ تقنينَ هذا الاستخدام أمرٌ ضروريّ، وكذلك إخضاعَ الاستخدام والمعلومات التي نتلقّاها من خلال هذه التكنولوجيا إلى الجانب المُفكّر فيه، وَمِنْ ثَمَّ نقدَها وعدمَ قبولها كما هي دونَ التفكير في جانب منفعتها وتقييم آثارها الإيجابيّة والسلبيّة على حدٍّ سواء. وكما ذكرنا سابقًا، فإنّ إيجابياتِ التكنولوجيا كثيرةٌ، وهي تجعلُ الحياة معها أسهل، وتتيحُ لنا الانفتاحَ على الآخر والتفاعلَ معه ومشاركةَ تجاربه، إلّا أنَّهُ لا بُدَّ - في الوقت نفسِهِ - منَ احترام خُصوصيّة الأُسرة والمجتمعات وَقِيَمِها.

إنّ التواصل الإنسانيَّ في كلِّ المراحل وعلى مرِّ العصور أولويّةٌ للبقاء البشري، ولعلّ أهمَّ ما يميّزُ هذا التواصلَ الحقيقيَّ هو إدارته، فكيف تتحقق هذه الإدارة؟ إنها تتحقق من خلال تفعيل الدَّور الأخلاقيِّ الذي يحكمُ هذا التواصلَ بحيث يُفضي إلى الفهم. ولكن، ما تأثيرُ العلم والتكنولوجيا في طبيعة هذا التواصل؟

لقد صبغ العلمُ بإنجازاته النظريّةِ والتكنولوجيّةِ طبيعةَ تفكيرنا بالنمط العلميّ، وهذا أمرٌ طبيعيّ؛ «فالفكرُ لا ثباتَ فيه ولا ركودَ أو سكون، وإنما هو جدليٌّ في طبيعته» (زيدان، 2012:

96). وَمِنَ المعروف أنّ الاهتمام بالجانب القِيَمِيِّ والأخلاقيِّ في تغيّر وتقلّب مستمرّين منذ وُجد الإنسانُ وإلى يومنا هذا، ولكنّ غزوَ التكنولوجيا الأفرادَ والأُسرَ ومساهمتها في الانفتاح بين المجتمعات زادَ من درجة هذا التغيّر وسرعته وأحدث تبدُّلاتٍ كثيرةً في أنماط الحياة على نحوٍ عام. كما أثَّرَ العلمُ والتكنولوجيا في طبيعة التواصل المرتبط بجانبٍ عواطفنا أيضًا؛ إذ مِنَ المعروف أنّ المشاعر تنتقلُ بين الناس كالعدوى وعند مخالطة الآخرين، فمجالسةُ الأشخاص الفرحين أو المسرورين ـ ممّن نُحِبُّ خاصّةً ـ تنعكسُ علينا بنوع منَ السعادة والسرور، والعكسُ صحيح، فإذا ما خالطنا أُناسًا حزينين فإنّ الحزن ما يلبثُ أن ينتقلَ إلينا، وهكذا.

ولكنَّ مخالطة الآخرين عن بُعد في تكنولوجيا المعلومات يؤدّي إلى فتور في عالَم المشاعر والأحاسيس والانفعالات، بحيثُ تصبحُ الحياةُ أكثرَ جمودًا وجفاءً ويغلب عليها الجانبُ الأداتي لتصبحَ أكثرَ قسوة؛ وهذا يؤثّرُ مِنْ ثَمَّ في درجة التزام الآدابِ والقِيَم. والإنسانُ الخَيِّرُ بطبعه يحبُّ أن يُعاملَ بمثل ما يتوقّعه منَ الآخرين؛ وفي التواصل التكنولوجي نشهدُ بعضَ التصرّفات والسلوكات الأداتيّة البعيدة عن لوم الإنسان نفسَهُ عند إساءة الاستخدام أو التصرّف معَ الآخرين على نحوٍ غيرِ حَسَنٍ بغضِّ النَّظر عن

حجم الإساءة، والنتيجةُ أنّ هذا ينعكسُ على تصرّف الإنسان بحيث يكتَسِبُ عاداتٍ سلبيّةً، والأسوأ من ذلك أن يُقابلَ هذا التصرّفُ معَ الآخرين بالطريقة نفسِها، ممّا يؤدّي مِنْ ثَمَّ إلى انتشار أيديولوجيا تزعزعُ مبادئَ الثقة والصدق أولًا بأول وتهدّدُ القِيَمَ الإنسانيّة لا سيّما قيمة الثقة المتداولة بين الناس، التي تُعَدُّ أساسَ التعامل الناجح الذي يُفضي إلى الفهم وبناء العلاقات المتينة.

إنّ القِيَمَ الأخلاقيّةَ، مثل: التزام النظام واحترام العُهود والمواعيد والصدق والأمانة والنزاهَة والإخَلاص والتسامح والتعاون والوفاء والعدل، ضروريّةٌ للتعامل معَ الآخرين ومهمّةٌ لبناء الثقة معهم؛ غيرَ أنها تعرّضَت في الآونةِ الأخيرةِ لزعزعة بفعل التكنولوجيا؛ أي بمعنى عدم التكامل بين القِيَم والسلوك.

إنّ التعاملَ الإنسانيَّ والتعبيرَ الصادقَ في علاقتنا وتواصلنا معَ الآخرين هو الذي يعزفُ على أوتار مشاعرنا، وما ينسجمُ معَ القِيَم هو ما يصنعُ هذا التكامل؛ ولذلك فإنّ الإنسان الذي لا تحكمُهُ القِيَمُ يكونُ مشتّتًا في تفكيره وقد يدخلُ في صراعات معَ نفسه لِتَبَنّيه قراراتٍ مختلفةً لِمواقفَ مشابهة، وَمِنْ ثَمَّ فإنّ عدم الراحة في تعامله معَ الآخرين وتعامل الآخرين معه يُزعزعُ قيمةَ

الثقة لديه، مِمّا يؤثِّرُ في ذاته وفي موقعة بين الناس. وعليه، فإنّ تكامل السلوك بما ينسجمُ معَ القِيَم يجعلُ الفردَ دائمَ الإحساس بالسعادة والرضى والراحة في التعاملَ معَ نفسِهِ ومعَ الآخرين، كما يجعلُ منه عنصرًا فاعلًا وبنّاءً وإيجابيًّا؛ فالشعور بالراحة النفسيّة يؤدّي إلى أن يصبحَ الإنسانُ متميّزًا، وهذا بدوره يُسهمُ في تجنيبه مظاهرَ العزلة والاغتراب والإحباط والجفاء منَ الآخرين.

الفصلُ الثالث

نِتاجاتُ الفصل:

المشكلاتُ الفلسفيّة المرتبطة بالتكنولوجيا

1- التواصلُ التكنولوجيُّ وإشكاليّة الهُويّة الثقافية وخصوصيتها

أ- الهُويّة الثقافيّة وخصوصيتها

ب- أَثرُ التواصل التكنولوجيّ في الهُوِيّة الثقافيّة

ج- الخصوصيّةُ الثقافيّةُ ومتطلّباتُ العصر

2 - الاغترابُ والهُويّة الرَّقْمِيّة

أنواعُ الاغتراب وأسبابُه

مشكلةُ تخلخل القِيم في فضاءات التواصل التكنولوجيّ:

كيف نواجِهُ الاغترابَ في الهُوِيّة الرَّقْمِيّة؟

3- الفجوةُ الرَّقْمِيّة

أ ـ أسبابُ ظهور الفجوة الرَّقْمِيّة وتوسُّعِها

ب ـ أنواعُ الفجوة الرَّقْمِيّة وأشكالُها

ج ـ هل يمكنُ الحَدُّ منَ الفجوة وتوسعها؟

4- خِطابُ الكراهية والتنمُّر

أ ـ لماذا تفاقمت إشكاليّةُ خِطاب الكراهية في فضاءات التواصل وتكنولوجيا المعلومات؟

ب ـ أنماطُ خِطابِ الكراهيةِ وأشكالُه:

ج ـ أثرُ خِطاب الكراهيةِ في الفرد والمجتمع:

د ـ ما الموقفُ الذي يجب أن نتبنّاه تِجاه هذه الإشكاليّة الأخلاقيّة؟

المشكلاتُ الفلسفيّةُ المرتبطةُ بالتكنولوجيا

عزيزي الشاب، إنّ نقدَ التكنولوجيا على نحو عامّ ونقدَ التواصلِ التكنولوجيِّ على نحو خاصّ لا يُقصَدُ به إغفالُ الجانبِ الإيجابيِّ الذي تحققُهُ بامتياز، ولكنَّ الغاية والمقصد من إخضاعَ هذا النوع منَ التواصل إلى الجانب النقديِّ والتفكير فيه في جوانبه جميعِها هو أن نضمن عدم انحراف التكنولوجيا عن هدفها الرئيس الذي يصبُّ في خدمة البشريّة ورفاهيتها ويمكّنُ الإنسانَ ويعزّزُ من قدراته.

وبالرغم منَ الاهتمامات المبذولة في توجيه هذا التطوّر التكنولوجيّ لتمكين الإنسان وتعزيز قدراته فإنّ مشكلاتٍ مختلفةً تنجمُ عنه يتفاقمُ بعضُها نتيجة انتشار الاستخدام، وممّا يفاقمُ ذلك صعوبةُ إيجاد إجراءات واضحة للاستخدام وضمان عدم إساءته؛ فالتواصلُ التكنولوجيُّ عابرٌ للحدود، الأمر الذي يؤدّي إلى اختلاف القانون واختلاف المعايير الأخلاقيّة في

كثير منَ دول العالم؛ إذ لا يوجد قانونٌ أو معاييرُ أخلاقيّةٌ مُتَّفَقٌ عليها تمامًا بين مستخدمي هذه التكنولوجيا، رغم وجود مواثيقَ أخلاقيّةٍ لدى القائمينَ على تلك المواقع التكنولوجيّة تُلزمُ من يستخدمُها بالموافقة عليها مسبقًا قبل البدء بالاستخدام، وإن كان بعضُها يكتفي - في أغلب الأحيان - بعرض هذه الشروط الخاصّة بالاستخدام من غير اتّخاذ الإجراءات الكافية والأكثر صرامة بحقّ مَن يخالفها؛ ولهذا فإنّ «الدوَل المتقدّمة تواجهُ تحدّياتٍ تتعلّقُ بإيجاد فلسفةٍ ملائمة للتعامل في هذا النطاق، ومعاييرَ أخلاقيّةٍ لاستخدام المعلومات» (انظر Floridi, 2010: 5). وعليه، عزيزي الشاب/ عزيزتي الشابة، فإنّ مَن يحكمُ الاستخدام هو الإنسان؛ فاختلافُ القانونِ يجعلُ المعاييرَ الأخلاقيّةَ صاحبةَ الولاية في الحُكم الأول على الفعل، ولهذا فإنّ مستوى الضمير هو الحَكَمُ الأولُ في استخدام هذه التكنولوجيا التي لا تظهرُ حدودُها واضحةَ المعالم كما هو الحال في التعامل الواقعيِّ في الحياة الإنسانيّة على نحو عام، فضلًا عن أنّ «القانونَ المعياريَّ، سواء كان تشريعيًّا قانونيًّا أًم أمرًا خُلُقِيًّا، يمكنُ تعضيدُهُ بواسطة الإنسان، وهو أيضًا قابلٌ للتغيير». (بوبر، 1998، 16)

وهناك العديدُ مِنَ الإشكاليات الأخلاقيّة التي رافقت

استخدامَ تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، من مثل إشكاليّةِ الخصوصيّـة، التي يمكنُ تعريفها بـ «أن يُترَكَ الشخصُ وحدَه» (Horniak, 2004: 16)، وهي إشكاليّةٌ يعاني منها اليومَ العديدُ منَ المُستخدمين، خاصّةً مَن لا يملكُ المهاراتِ الكافيةَ لحماية بياناته ومعلوماته، كما تبرزُ إشكاليّةُ خِطابِ الكراهية والخطاب المعاكس التي تصطدمُ بحريّة التعبير والخصوصيّة على الإنترنت، وكذلك التنمّرُ والتسلُّط عبرَ الإنترنت وعبرَ مواقع التواصل الاجتماعيّ، لا سيّما بين طلبة المدراس، وهي ظاهرةٌ تتزايدُ في المجتمعات المتقدّمة. هذه الإشكالياتُ ناجمةٌ عنِ إساءة الاستخدام، والتصرّفِ بسلوكات غيرِ مقبولةٍ أخلاقيًا، وهي ما يُجمِعُ عليه المفكرون وعلماءُ الاجتماع والفَلاسفة بأنه» تواصلٌ مُعادٍ للمجتمع؛ حيث تمثِّلُ الجانبَ المظلمَ منَ التواصل الاجتماعيِّ عبرَ المواقع الإلكترونيّة» (Kim, 2005)، إضافة إلى العديد منَ الاشكاليات الأُخرى التي «تتنوَّعُ في أشكالٍ عِدّة، من مثل التحرُّشِ والتهديد». (Payne, 2007).

ويمكنُ تصنيفُ الإشكاليات التي نجمت عن الاستخدام والتواصـل التكنولوجـيِّ مـن حيثُ علاقتُهـا وتَأثُّرُهـا بهـذهَ التكنولوجيا إلى ثلاث فئات، هي:

أولًا: قضايا تأثّرت بالتكنولوجيا وأدّى الاستخدامُ المعولم إلى تفاقُمِها، من مثل إشكاليّة الهُويّة الثقافيّة وخصوصيتها.

ثانيًا: قضايا قديمةٌ وسابقةٌ على تكنولوجيا المعلومات، ولكنها تطوّرت بفعل استخدام التكنولوجيا وانتشارها، مثل: إشكاليّةِ الهُوِيّة الرَّقْمِيّة والاغتراب، وإشكاليّةِ خِطاب الكراهية والتنمُّر.

ثالثًا: قضايا مستجدّةٌ، من مثل إشكاليّة الفجوة الرَّقْمِيّة.

ونودُّ التنويه إلى وجود العديد مِنَ الإشكاليات الأخلاقيّة في التواصل التكنولوجيّ، ولتسهيل تناول هذه المشكلات وفهمها جرى اعتمادُ التصنيف أعلاه، معَ طرح مثال على كلٍّ منها؛ حيث سنتناولُ بعضَ هذه الإشكاليات وَنُعَرِّفُ بها لاحقًا.

التواصلُ التكنولوجيُّ واشكاليّةُ الهُوِيّةِ الثّقافيّةِ وخصوصيتُها

أ ـ الهُوِيّةُ الثقافيّةُ وخصوصيتُها

تعبّرُ الثّقافةُ عن هُوِيّة الجماعات التي ترتبط بالمكان واللُّغة والدِّين والعادات والتقاليد، وقد تتعدّدُ القومياتُ داخلَ الدّولة الواحدة، ومعَ خصوصيّة كلّ قوميّة فإنها تنسجمُ داخلَ البلد الواحد وتندمجُ معَ الآخرين ومعَ الاحتفاظ بخصوصيتها، وهنا تسمو الأهدافُ الثقافيّةُ العُليا التي ترتقي منَ الثقافة الفرديّة إلى الثقافة الوطنيّة. والثقافةُ جملةٌ منَ العناصر المشتركة ترتبط في خصوصيتها بمجتمع معين. ويظهر التعدّدُ والتنوّعُ الثقافيُّ جليًّا من خلال التواصل التكنولوجيّ المُعولم بين الدّول والمجتمعات، غيرَ أنه تصعبُ مقارنةُ هذا التنوّع الثقافيّ بالتنوّع الثقافيّ على مستوى الدّولة الواحدة.

ألا تَتَّفِقُ معي عزيزي الشاب في أنّ الخصوصيّة الثقافيّة هي تلك الثقافةُ التي يمكن بواسطتها تمييزُ الثقافة المرتبطة بجماعة أو

بمجتمع عن غيره؟ فهي أشبهُ بالبصمة الثقافيّة التي تميّزُ الهُويّةَ الثقافيّة والتاريخَ الثقافيَّ لمجتمع معيّن. وتشكّلُ اللُّغةُ والدِّينُ والموروثُ والقِيَمُ والمكانُ والزمانُ التي ترتبطُ به وطبيعةُ المَلبَس والمأكلُ هُويّةَ هذه المجتمعات؛ فلكلِّ مجتمع خصوصيّةٌ ثقافيّةٌ وله هُوِيّةٌ عابرةٌ للثقافات.

ولكن ـ عزيزي الشاب ـ ما علاقةُ التكنولوجيا بالخصوصيّةِ الثقافيّة؟

أحدثت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ثورةً مثيرةً وسريعةً رافقها القدرةُ غيرُ المسبوقة على التغيّر، وقد استغرقَ ذلك ما لا يقلُّ عن قرن قبل أن تطرقَ المطبعةُ عددًا منَ النُّسخ لتصل إلى (50) مليون فرد، أمّا الإذاعةُ فاستغرقها الأمرُ (30) عامًا منَ الزمن للوصول إلى العدد نفسِه، وثلاثةَ عشرَ عامًا للتلفزيون، بينما يتجاوزُ عددُ مُستخدمي شبكات التواصل الاجتماعيّ أضعافَ هذا العدد. أضف إلى ذلك أنّ التطوّرَ التكنولوجيَّ يؤدّي إلى اعتماد الإنسان على التكنولوجيا بطريقة متزايدة، معَ انتشار الاستخدام ليشملَ جميع المجتمعات ومختلف الثقافات والفئات العمريّة والجنس، حتى إنه تجاوز كلَّ المحدّدات الأُخرى، من

زيادة في حجم البيانات والمعلومات وزيادة في تداولها وتوسيع أطراف التواصل معَ الآخرين (Bynum, 2010: 20 -32)؛ وبذا فإنّ التكنولوجيا «تربطنا جميعًا بعلاقات تُعَدُّ جديدةً تمامًا» (سموللا، 1995: 499). وقد أسهمت وسائلُ الاتصال الحديثة من خلال عولمة التواصل بين البشر في الاطّلاع على الثقافات المتعدّدة، وفي تنوّع شعوب العالم حضاريًّا، فبرزت مَعَها الأهميّةُ الحقيقيّةُ للانفتاح الحضاري والاجتماعيّ. وفي هذا السياق، يرى هبرماس: «أنّ ما يسمّى بالتعدديّة الثقافيّة، وإلى حدّ معيّن، يعني أنّ العالَمَ المنظورَ إليه في كليّته عالَمٌ منفتحٌ ومُؤَّلٌ تأويلاتٍ متعدّدة بحسب الرّؤى المتباينة للأفراد والجماعات» (هبرماس، 2010: 21). ويرى لوك فيري (Luc Ferry) أنه: «عندما أنتزعُ نفسي من نفسي من أجل فهم الغير، وعندما أوسّع حقلَ تجاربي فإنّي أتفرّد، بما أنني أتجاوز ما هو خاصٌّ في وضعي الأصليّ من أجل التوصّل إمّا للعالميّة أو، على الأقلّ، لمراعاة إمكانات الإنسانيّة جمعاء». (فيري، 2011: 376)

وَمِنْ ثَمَّ، أخي الشاب، فإنّ هذا التواصل الثقافيَّ الحضاريَّ المتعدّدَ الأطراف والهُويّات يتيحُ التعدديّة الثقافيّة التي تعزّزُ الانفتاح والتسامح وقبولَ الآخر وتؤدّي دورًا محوريًّا في تبادل المعلومات وتشاركها من خلال الاحتكاك بين الحضارات، معَ أنه

لا يمكنُ في الوقت نفسِهِ تجاهلُ الأثر السلبيّ غيرِ المباشر الناجم عنِ العولمة الثقافيّة وزيادة الاتصال والتواصل العابر للحدود (Barclay, 2008). كما أنّ الهيمنة الرأسماليّة تفرضُ شروطَها على نوعيّة هذا التواصل الحضاريّ والثقافيّ وآفاقه، فالتكنولوجيا توظفها الرأسمالية كأداة للتأثير في كيفيّةٌ التفكير. ولكن في الوقت نفسه، فإنّ أفكارنا تتطوّرُ معَ أفكارِ مَن نتواصل مَعَهم، الأمر الذي يجعلنا ننقد الأفكار على نحو مستمرّ ونعيد تقييمها، وقد يرافقُ ذلك تعديلُها، وهو ما يجعلُ منً عمليّة الاحتكاك والتفاعل بين الأفراد والجماعات والثقافات أمرًا ضروريًّا لعمليّة التطوّر الفكريّ.

عزيزي الشاب، هل قادتك التكنولوجيا إلى التواصلِ معَ ثقافات متعدّدة؟ ما مظاهرُ ذلك؟

ب ـ أثرُ التواصلِ التكنولوجيِّ في الهُويّة الثقافيّة

نجمَ عن اختراع الفضاء الإلكترونيّ وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات حالةٌ جديدة تتركّز في القدرة على التفاعل معَ الآخرين، وما ينعكسُ عن هذه العمليّة التفاعليّة التواصليّة من تغيّر في أنماط الحياة بجميع نواحيها. وقد ظهر العديد منَ المطالبات

التي تدعو إلى أنسنة العلوم التطبيقيّة؛ فالجانب الإنسانيُّ الأخلاقيُّ والجانبُ المتخصّصُ في العلوم يُكَمِّلُ أحدُهما الآخر، وهذا ما نفتقرُ إليه؛ فالحاجةُ ماسّةٌ إلى الشراكة الحقيقيّة بينهما، والدراساتُ الإنسانيّة بحاجة إلى المنهج العلميّ لتحقيق أفضل النتائج، وفي الوقت نفسه فإنّ العلوم بحاجة إلى توجيهها نحوَ خير الإنسانيّة، وهو ما أكّده العلماءُ من حيثُ إنّ التِّقَنِيّة اهتمّت «في مجملها بالعلوم الطبيعيّة الفيزيائيّة، معَ الافتقار إلى التوازن بينهما وبين الاهتمام بالعلوم الإنسانيّة، وهناك مشكلاتٌ معيّنةٌ قد خلقتها هذه التِّقَنِيّة، إذا لم نقل مجموعة عديدة منَ المشكلات» (أحمد، 2006: 129). وقد أدّى هذا بدوره إلى أن تؤثّر فينا وفي الهُويّة الثقافيّة من خلال الوسائل الإلكترونيّة المختلفة، مثل وسائل الإعلام الرَّقْمِيّ ومواقع التواصل الاجتماعيّ وغيرها. وهو ما ينسجمُ بعضُهُ معَ الغرب وثقافته أكثرَ منَ الثقافات الأُخرى بوَصفِهِ مَنْ صَمَّمَ هذه التكنولوجيا ويعملُ على تسويق ثقافته وَلُغته عالميًّا عبرَها، سواءٌ بقصد أم بغير قصد. وهنا، يَتَّفِقُ الباحثون معَ فكرة «أنّ التكنولوجيا ليست فقط آليات وأدوات تُستعمل، بل إنها تحملُ مَعَها ثقافةً ونظامَ قِيَم ورؤيةً للعالَم ومنطقًا يتعيّن استيعابُه، كما أنها تبثُّ تغيّرًا في معنى الحياة نفسِها. وعليه، فالتكنولوجيا تنفذُ إلى

كلِّ شرائح الحياة والوجود في المجتمعات، وَتُحدِثُ تغيّرًا عميقًا في المجال الإدراكيّ وفي المجال الذهنيّ، وتؤدّي إلى تصادُمِ كلِّ ما هو تقليديّ». (سبيلا، 2009: 208)

وبالرّغم من تباين الآراء حولَ طبيعة الهُويّة الثقافية ودورها في مستوى التواصل الثقافيّ بين المجتمعات يرى بعضُهم أنّ الانفتاح على المجتمعات الأُخرى هو الحلّ، فالفيلسوفُ بول ريكور يرى أننا إذا «رغبنا في أن نظلّ بشرًا فليس أمامَنا غيرُ طريق واحد، ألا وهو الطريقُ إلى المجتمع المفتوح» (بوبر، 1998، 198). ولنحاول معًا ـ عزيزي الشاب ـ التفكيرَ في السؤال الآتي: هل تعتقدُ أنّ الانفتاح على الثقافات الأُخرى من أوسع الأبواب قد يكون أمرًا إيجابيًّا؟

في الحقيقة أنّ الخيارَ لا يكمُنُ في المجتمع المفتوح على مصراعيه؛ فهو مجتمعٌ ستظلُّ تسودُهُ الفوضى إن لم يخضع لقوانيه الأخلاقيّة المُستمَدّة من هُويّته الثقافيّة، وكذلك إن لم يُخضع ما هو جديّد ومستوردٌ للتحليل والنقد فإنّ ذلك سيؤثر سلبًا في هُويّته ومخزونه الأخلاقيّ والقِيَمِيّ، كما أنّ هيمنة الرأسماليّة التي تخدمُها تكنولوجيا التواصل من خلال الفضاءات الافتراضيّة أثبتت

تأثيرَها الواضح في أن تصبح المجتمعاتُ عُرضةً للتغيير داخليًّا وخارجيًّا.(Hong, 2013: 111 -120)

ج ـ الخصوصيّةُ الثقافيّةُ ومتطلّباتُ العصر

تختلفُ المجتمعاتُ في معاييرها حولَ ماهيّة أنواع الخِطاب العامّ المقبول وغيرِ المقبول. وتكمُنُ الصّعوبةُ في عدم وضوح الحدود بين الخطابينَ العامّ والخاصّ عبرَ فضاءات شبكات التواصل السيبرانيّ والتوافق الكونيّ حولَ القِيم والأخلاقيات التي يجب اتّباعُها من أجل تحقيق الخير المشترك والكونيّ. ويثري التواصلُ والتفاعل معَ الآخرينَ الأفكارَ وينقلُ التجارِبَ بأنواعها ويتيحُ المشاركةَ الثقافيّة، على الرّغم من صعوبة الوصول إلى القاسم المشترك في النقاشات بين الثقافات المتعددة إلّا إذا تبنّينا وُجهة نظر الآخر التي تمكّننا من الفهم المشترك. وهنا، لا بُدّ من إبراز دَور لُغة التواصل في إنجاح العمليّة التواصليّة؛ «فعندما نتعلّمُ لُغةً أُخرى نستطيعُ ليس فقط التواصل معَ عدد أكبرَ منَ البشر، بل نكتشفُ أيضًا، من خلال تلك اللُّغة، أفكارًا أُخرى وأشكالاً أُخرى منَ العلاقة معَ الآخرين ومعَ العالَم، وَمِنْ ثَمَّ توسيع رُؤى التفكير وحدوده الطبيعيّة» (فيري، 2011: 223). ونفهم من خلال عرض

الموضوعات السابقة المتعلّقة بالهُوِيّة الثقافيّة وخصوصيتها الآتي:

ـ لقد أحدثَ التواصلُ الحديثُ بعضَ الزعزعات البُنيويّة في الموروث الثقافيّ (انظر: لشهب، 2013: 70 - 82)، كما عزّزت وسائل الاتصال الوجود الفرديّ وأحدثتِ العديدَ منَ التغيّرات والتبدّلات الاجتماعيّة والقِيَمِيّة وشكّلت نمطَ حياة جديد داخلَ المجتمعات (Van Dijk, 2010: 16). وهنا، لا بُدّ من تأكيد أنّ التبدّلاتِ القِيَمِيّةَ في التواصل العالميّ لا تعني أن تتخلّى المجتمعاتُ عن هُويّاتها الثقافيّة «وعن رأسمالها الرّمزيّ لقاءَ امتلاك العلم والتِّقَنيّة؛ لأنّ التخلّي عنِ الهُويّة الثقافيّة المتوارثة أو التنكّر لها هو بالنسبة إلى أيّ أُمّة منَ الأُمم نوعٌ منَ الانتحار الحضاريّ» (سبيلا، 2009: ص149)؛ فالنزعاتُ البِنيَويّة جعلت مِنَ الثقافة كائنًا حيًّا تامًّا؛ إذ هيَ تُصَحِّحُ نفسَها وتنتَقِدُ نفسَها في آنٍ وَاحدٍ.

ـ إنّ عصرَ الانفتاح الذي نعيشُ وما نشهدُهُ من سيطرة الرأسماليّة من خلال التجارة الإلكترونيّة والأسواق العالميّة وأسواق الأسهم والعملات يدفع باتجاه المزيد منَ التواصل الحضاريّ والثقافيّ العالميّ، وهو ما يعزّزُ من سيطرة الدّول الرأسماليّة وفرض الوصاية على الدّول النامية والفقيرة؛ ولذا لم يعد في الإمكان الدّفاعُ عنِ

الهُوِيّة الثقافيّة «عن طريق الانغلاق، بل كسر حِدّة الانبهار بالغرب ومقاومة قوّة جذبه، وذلك بردّه إلى حدوده الطبيعيّة والقضاء على أسطورة الثقافة العالميّة، إضافة إلى أنّ الاختراق الثقافيّ من أبرز الأساليب التي تَتَّبِعُها القوى العالميّة في صراعها معَ الهُوِيّة الثقافيّة قصدَ زعزعةِ منظومةِ القِيم والأخلاق، والترويج لثقافات أُخرى». (ابن طيفور و بوعمامة، 2016: 143)

ولشرحِ بعض التحدّيات، التي سَلَفَ ذِكرُها، نعرضُ المثالَ الآتي:

إنّ تكنولوجيا المعلومات والأنظمة الحاسوبيّة وَمِنَصّات التواصل الاجتماعيّ وما يُستخدَمُ من تكنولوجيا حديثة ومتطوّرة في الفضاء السيبرانيّ، التي تُنتجُها بعضُ الدول وَتُصَدِّرُها، يُطبَعُ ولو بالقليلِ من ثقافتها، ومثال ذلك ما ينعكسُ اليومَ على الجانب الخاصِّ باللُّغة؛ إذ ينادي الجميعُ في هذا الوقتِ بضرورة زيادة المحتوى المتعلّق باللُّغة العربيّة على شبكة الإنترنت، وزيادة المحتوى يرتبطُ أيضًا بالمتخصّصين في اللُّغة العربيّة وآدابها والباحثين في هذا المجال من أهلها؛ ففي أثناء استخدامهم معالجات النصوص التي تعملُ تحت أنظمة التشغيل الخاصّة بالحواسيب قد تظهرُ لهم رسائلُ

تَشي بوجود مشكلات فنيّة، ولكنّ أغلبَها هذه يكون مكتوبًا باللُّغة الإنجليزيّة، وَمِنْ ثَمَّ تواجهُ المُستخدِمَ حينذاكَ مشكلتان؛ أولاهما: تِقَنِيَّةٌ تكمن في فهم نوع المشكلة وفي كيفيّة حلّها، وثانيتُهُما: لُغَوِيَّةٌ تتعَلَّقُ بفهم معنى الرسالة المكتوبة بلغة أُخرى وكيفيّة نقلها إلى الفنيين ذوي الاختصاص. وعليه، يضطرُّ المُستخدِمَ إلى التعاملِ معَ هذه اللُّغة من أجل الاستمرار في استخدام هذه التكنولوجيا.

كما نشهدُ اليومَ ابتعادًا عنِ استخدام اللُّغة العربيّة الفصحى، سواءٌ المكتوبة منها أم المنطوقة، مُستعيضينَ عنها بالتواصل معَ مُستخدمي شبكات التواصل الإلكترونيّ بالكتابة التي تُستخدَمُ فيها رموزٌ وأشكالٌ وحروفٌ تنتمي إلى لُغات أُخرى، مثلِ الإنجليزيّة؛ للتعبير عن الكلمات العربيّة المنطوقة بدلًا مِنَ استخدام الحروف العربيّة الأَصيلة.

الاغترابُ والهُويّةُ الرَّقْمِيّة

أ- مفهومُ الاغتراب

هـل تساءلـت ـ عزيزي الشـاب ـ عـنِ الفـرقِ بين الغُربة والاغتراب؟ هل يرتبطُ الاغترابُ بالجانب الجسديِّ فقط أم أنّ هناك نوعًا آخَرَ هو الاغترابُ في الفكر؟

إن مفهومَ الاغتراب واسعُ المجال ويصعبُ إيجاد تعريف شامل أو وحيد له يمكنُ الإجماع عليه، فالاغترابُ لُغةً من «غرب»؛ أي ذهب وتنحّى منَ الناس، و«التغرُّبُ» البُعد، و«الغربةُ والغرب» النزوحُ عنِ الوطن، و«الغريبُ» البعيدُ عن وطنه (لسان العرب، 1968: 3). وعرّفته الموسوعةُ الفلسفيّةُ بِـ «عدم التوافق بين الماهيّة والوجود؛ فالاغترابُ نقصٌ وتشويه، وانزياحٌ عن الوضع الصحيح» (الموسوعة الفلسفيّة العربيّة، 1986: 39). وَيُعَدُّ الانسلاخُ جوهرَ الاغتراب؛ أي «أن يكون الإنسانُ على مسافة معَ شعوره بالفقد» (مجاهد، 1968: 70). وفي فضاءات تكنولوجيا المعلومات أيضًا تتعدّدُ تعريفاتُ هذا المفهوم، وَيُقصَدُ بالاغتراب

في هذا الكتاب: **ابتعادَ المستخدم وعجزَهُ عن التعبير عن هُويّته الحقيقيّةِ ومحاولةَ إقناع نفسِهِ بالهُوِيّة الرَّقْمِيّة كَهُوِيّة لإتمام شروطِ عمليّةِ التواصلِ التكنولوجيّ.**

إنّ مشكلاتِ الفقر والبطالة وتدنّي الأجور في الدول الفقيرة تجعلُ الكثيرينَ من مواطنيها يبحثون عن فرص أفضلَ ويتّجهون بأنظارهم نحوَ الغرب ونحوَ دول العالَم المتقدّم، فيجدونَ الوسيلةَ في هذه التكنولوجيا الطريقَ الأسهلَ لإعانتهم على الحصول على فرص يحققون بها آمالهم، غيرَ أنّ هذه التكنولوجيا قد تمزّقُ موروثَ هؤلاء الثقافيّ والقِيَمِيّ بسبب السّعي إلى إيجاد منفذ يغيّرُ مسارَ حياتهم، كما يؤثّرُ هذا الأمرُ في الهُويّة الثقافيّة؛ إذ تُعَدُّ القِيَمُ إحدى مكوّنات الهُويّة، وهي «تجربةٌ تخوضُها الذاتُ من أجل الاكتمال، ولهذا فحضورُها حضورٌ أنطولوجيّ بالدرجة الأولى، وهو حضورٌ يُعلِنُ عن وجود الكائن في حدّ ذاته» (عبداللطيف، 2010: 163).

إنّ هُويّةَ الإنسانِ التقليديّةَ مزيجٌ منَ اللّغة والدِّين والموروثِ القِيَمِيِّ والأخلاقيّ، كما أنها ترتبطُ بالمكان والزمان والثقافة السائدة فيهما، غيرَ أنّ هُوِيّةَ المُستخدِمِ الرَّقْمِيّةَ التي تتيحُ له التواصلَ

معَ الآخرين في مواقع التواصل الإلكترونيّ لا تحقّقُ بالضرورة هذه العوامل، وَمِنْ ثَمَّ فإنّ هذا التناقضَ يجعلُ المُستخدِمَ يتعاملُ في بعض الأحيان معَ مفهومين مختلفين للهُويّة، وإن صَحَّ التعبيرُ أصبحَ للإنسانِ نفسِهِ هويّتان بدلًا من وجود هُوِيّة فريدة ومميّزة.

ب ـ أنواعُ الاغترابِ وأسبابُه

إنّ إشكاليّة الاغتراب إشكاليّةٌ فلسفيّةٌ قديمةٌ ـ جديدة، وبفعلِ التكنولوجيا التي غيرّت في أنماط الحياة المختلفة أثرت بدورها في هذه الإشكاليّة وأحدثت بعض التحوّر في جوانبها. أمّا عن أنواع الاغتراب، فهي متعدّدةٌ، كما أنّ معانيه كثيرةٌ، منها: الغُربةُ عنِ البلد، والاغترابُ في الهُويّة، وكذلك العجزُ، واغترابُ الذات، واللامعايير، والعزلة، ولاغترابُ الثقافيّ، واللامعنى (انظر Rey, 2012: 399-420). ويظهرُ الاغترابُ بمعناه اللامعيار، والعزلة، والاغتراب في الهُوِيّة، والاغتراب الثقافيّ لدى المُستخدمين في العمليّة التواصليّة عبرَ تكنولوجيا المعلومات، وتعدُّدُ الثقافات وهيمنةُ بعضها على بعضِها الآخر يفاقمُ هذه الإشكالية، كما أنّ الفضاء المفتوح في العمليّة التواصليّة الذي لا يعرفُ الحدودَ الجغرافية ولا يحتكمُ قانونُهُ إلى عينة أو معيار

أخلاقيّ في ثقافة ما يؤدّي إلى هزَّةٍ وزعزعةٍ في قرارات المُستخدِمين المتعلّقةِ بتبنّي معيار واحد يتّفقُ عليه الجميعُ وعلى نطاق عالميّ. ولا ننسى أنّ التكنولوجيا يغلبُ عليها الطابعُ الفرديُّ الذي يؤدي ـ لا محالة ـ إلى العزلة والانسلاخ عنِ العالَم الواقعيّ والاحتكاك الوجاهيّ.

والاغترابَ المتشكل بفعل التكنولوجيا لا يعرفُ جيلًا معيّنًا أوجنسًا معيّنًا، بل على العكس من ذلك؛ إذ أصبح يفرضُ نفسَهُ على كلِّ مَنْ يستخدمُ أدواتِ التواصل التكنولوجيّ؛ فقد كان أحدُ أنواع الاغتراب يتشكّلُ بين فئة المتعلّمين وبين غيرهم، فانتقلَ ليصبح بين من يمتلكون مهارات استخدام هذه التكنولوجيا وبين من لا يمكلُها أو يتقنُها. كما أنّ الأشخاصَ الذين لا يتمتعون بكامل وظائفهم الجسميّة من بين مُستخدِمي هذه التكنولوجيا لا زالوا يعانون منَ الاغتراب بسبب عدم توفير الأدوات اللازمة للتمكّن منَ استخدام التكنولوجيا كما يستخدُمها الأصحّاء، وإن توفّرت فإنها لا تزال ذاتَ تكلفة عالية.

مشكلةُ تخلخُلِ القِيَم في فضاءاتِ التواصلِ التكنَولوجيّ

تظهرُ مشكلةُ تخلخُلِ القِيَم في فضاءاتِ التواصلِ التكنولوجيّ على نحو عام، وتظهر علىٰ نحوَ جَليّ في طبيعة السلوكَ عبرَ مِنَصّات التواصلً الاجتماعيّ. وَيُقصَدُ بهاَ أنّ مفهومنا للقِيَم والتصرّفات والسلوكات بناءً على مخزوننا الاعتقاديّ منها وبها لاَ يحكمُ تعاملَنا وعلاقتِنا ببعضنا بعضًا ضمنَ العالَم الافتراضيّ بالقدر نفسِهِ الذي تحكُمُهُ في واقعنا بعيدًا عنِ التكنولوجيا وأدواتها، ويصبح معيارُنا في الحكم على قيمة الفعلَ الذي نؤدّيه انطلاقًا من فهمنا القِيَميِّ غيرَ قاطع؛ ولذلك فإنّ بعضَ أنماط السلوك ـ بناءً على ما ورد ـ تسيرُ في اتجاهين، هما:

أـ تذريةُ القِيَم

إنّ القِيَمَ الإنسانيّة ثابتةٌ؛ بمعنى أنَّها لا تتغيَّرُ بتغيُّرِ الزمان أو المكان، ومن خلالها نحكمُ على السلوك الإنسانيّ وعلى أفعالنا

بالصّواب أو بالخطأ؛ بمعنى أنَّنا نُعطي هذه الأفعالَ قيمةً، وهي قيمةٌ تكونُ إمّا خيرًا أو شرًّا، ومثال ذلك أنّ قيمة العدل خيرٌ، وهي قيمةٌ تبقى في كلِّ الأزمنة وفي كلِّ الأمكنة؛ أي أنَّها ثابتة، ولكنَّ التغيُّرَ يحدثُ في تطبيقها على نحوٍ عمليّ وفي فهم معانيها من شخص لآخر.

ونعني بمفهوم «تذرية القيم» ـ أخي الشاب/ أختي الشابة ـ أنّ هناك اغترابًا بمعناه اللامعياريّ من حيثُ النسبيّةُ التي تميلُ أحيانًا إلى الجانب السلبيّ نحوَ تطبيق المعايير القِيَمِيّةِ والأخلاقيّةِ التي ترافقُ التواصلَ في فضاءات التكنولوجيّ، ويصبح المعيارُ الذي اعتدنا على التمسُّك به وعلى تطبيقه في محيطنا وفي مجتمعنا غير فعّال بالدرجة نفسِها عبرَ هذه الفضاءات، لا بل تنافسُهُ المعاييرُ الأُخرى وتستقوي عليه، فيؤدّي إلى زعزعة بنيته وتفكيكِها. ونحن ندركُ أنّ التعدُّدَ الثقافيَّ بكلِّ ما يحملُهُ من مكوّنات اجتماعيّةٍ ودينيّةٍ وَلُغَويّةٍ وجغرافيّةٍ لا يمكنُ أن يعتمد المعيارَ نفسَه، وحتى إنِ أُعتمد فيكونُ ذلك على نحوٍ نسبيّ.

ب ـ التعصُّبُ الفكريّ

إنّ عدم الوعي على نحوٍ جيّد بطبيعة التواصل اللامحدود،

التي تؤمِّنُها هذه الفضاءاتُ قد يعيقُ التواصلَ عبرَها على نحوٍ فعّال. وعليه، فيجبُ أن نَعِيَ أنّ حريّة التواصل وحريّة التفكيرِ وحريّة المُعتقد مُتاحةٌ للجميع على نحوٍ غيرِ مسبوق؛ لِذا لا يمكنُ للمُستخدِم أن يتواصلَ معَ الآخرين عبرَ هذه الفضاءات من مُنطلق أنه يملكُ الحقيقةَ التي لا يحقُّ للآخرين مخالفتَهُ الرأيَ فيها، أو بمعنًى آخَرَ أن تُقَدَّمَ هذه الآراءُ بِوَصفِها حقائقَ قاطعة، الأمرُ الذي يؤدّي إلى جمود الفكر والتعصّب، وكذلك الأمرُ معَ أصحاب الحقائق في عدم التعالي في نظرتهم وأن يحترموا آراء الآخرين؛ لكيَ نضمنَ بذلك التواصلَ البنّاء المبنيَّ على حريّة الرأي وقبول الآخر، وبالنتيجة نصلُ إلى الفهم المُشترك الذي هو الغايةُ الأولى منَ التواصل على نحوٍ عامّ.

كيفَ نواجهُ الاغترابَ في الهُوِيّة الرَّقْمِيّة؟

بدايةً، ينبغي لنا في هذا الصّدد تقنينُ استخدام وسائل التواصل التكنولوجيّ وإخضاع العمليّة التواصليّة بأكملها للتعرية والنقد، لا سيّما أنّ عمليّة الاستخدام واسع النطاق لتكنولوجيا المعلومات يتجاوزُ بها المرءُ في هُويّتِهِ الحيّزَ الجغرافيَّ والحدودَ السياسيّة، وترقى إلى ما هو أعلى من ذلك بِوَصفِها جزءًا في جوهرها منَ البشريّة

الواحدة. وعليه، يرى هبرماس أنّ: «المواطنةَ متعدّدةَ الثقافاتِ تمثِّلُ المفهومَ الذي يجدُهُ على توافقٍ تامّ مَعَه؛ فالمواطنةُ وضع يُترجم في شكل حدود فرديّة، ومعَ ذلك فإنه لا ينبغي أن يغيبَ عن ناظرنا أنّ المواطنين هم أيضًا أشخاصٌ لهم هُوِيّات فرديّة نمت وترعرعت وسطَ تقاليدَ معيّنة، وفي أوساط ثقافيّة نوعيّة؛ لذا فإنه يجب أن نضع في الحُسبان أنّ هؤلاء الأشخاص هم في حاجةٍ إلى هذه التقاليد، حتى يتمكّنوا منَ الحفاظ على هُوِيّاتهم». (هبرماس، 2010: 44 - 45)

ومثلُ كلِّ الثورات التكنولوجيّة، هنالك آمالٌ أنّ العصرَ الرَّقْمِيّ سيحقِّقُ الشفافيّةَ والعقلانيّة في الأسواق، ويحقّق مِنْ ثَمَّ غِنًى ثقافيًّا عالميًّا، كما يحققُ للجميع الديمقراطيّة والرّخاء. أمّا عن كيف يمكنُ لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات الحديثة الوفاءُ بهذه الأهداف، وخصوصًا لثمانين بالمئة من سكّان العالَم الذين يعيشون في الدّول النامية، فإنها تبقى مَهَمّةً صعبةً وتواجهُ التحدّيات (Keniston, 2003: 5) . كما أنّ تكنولوجيا التواصل تمكّنت اليومَ مِنَ «الاختراق الثقافيّ؛ أي أنّها أصبحت مُسَيطِرة، وَمَنْ يسيطرُ عليها بإمكانه بَثُّ الثقافة التي يريد، مُحَمّلةً بالأيدولوجيا». (ابن طيفور و بوعمامة، 2016: 140)

بناءً على ما سَلَف، فإنه لا يمكن لنا اعتمادُ ضوابطَ قبليّةٍ قبلَ الاستخدام، وَمِنْ ثَمَّ نحنُ بحاجة إلى إخضاع كلِّ ما يأتي مِنْ سَيْلِ المعلومات الجارف إلى التفكيك والتحليل والنقد لضمان حُسن استخدام هذه التكنولوجيا والإفادة منها، كما يجبُ مجابهة العديد مِنَ المُغريات التي جاءت بها عن طريق توفير البدائل. وَتَتَلَخَّصُ التوصياتُ بهذا الخصوص في الآتي:

1 - عدمُ مقارنةِ التنوّع الثقافيّ على مستوى الدّولة الواحدة بالتنوّع الثقافيِّ الذي نشهدُهُ في عصر العولمة؛ فالتواصلُ بين القوميّات والثقافات المحليّة في الدّولة الواحدة يبقى ضمنَ حدود المكان والزمان وَتكَلِّلُهُ ذاكرةٌ واحدة، إضافة إلى دَور سُلطة الدّول المُهيمِنة، بينما لا يقعُ التنوُّعُ الثقافيُّ المُعولَمُ ضمنَ شرط المكان، كما أنه لا يقعُ ضمنَ حدود جغرافيّة معيّنة؛ وبذا فإنه لا يمكنُ الوصولُ إلى ثقافة عالميّة واحدة؛ لأنها لا تملكُ ذاكرةً موحّدة تؤلّفُ بين هذا التنوّع الثقافيّ وتعملُ على تهجينه. و«على خلافِ الثقافات القوميّة، فإنّ الثقافة العالميّة بلا ذاكرةٍ أساسًا». (بيترس، 2015 : 60)

2- عدمُ اللجوء إلى الانغلاق على الذات؛ فالثقافات التي تنغلقُ

على ذاتها تكون قد حكمت على نفسِها بالانكماش والاندثار، وهي النتيجةُ نفسُها التي تجابهُها «تلك المجتمعاتُ التي تستوردُ الثقافة الوافدة ممّن لا يملكون مقدرةً على الإنتاج أو المجابهة، وبالتالي تتعرّضُ خصوصيَّتُها الثقافيّةُ لمخاطر الطمس والاندثار». (ابن طيفور وبوعمامة، 2016: 140)

3 - ولا تكفي اللُّغاتُ المكتوبة اليومَ لمواجهة الزّخم الهائل للمعلومات الذي يُغذّى لحظيًّا منَ الثقافات المُهيمنة؛ لذا لا بُدَّ منَ التعامل بالمثل وإثراء هذه المعلومات العالميّة باللُّغات السمعيّة والبصريّة بحيث تغذّي الفكرَ بالطريقة نفسِها التي تؤدّي إلى كسر السائد، فلا تعودُ هُوِيّاتُ الدّول المُهيمِنة تطغى على الهُوِيّات الأُخرى.

4 - عدمُ العودةِ إلى الماضي

إنّ العودة إلى الماضي دونَ العمل الجادِّ في حاضرنا أمرٌ لم يَعُد يحتملُ الصَّواب؛ فالانطلاقُ يبدأُ مِنَ الحاضر، والإنجازاتُ التي نبنيها اليومَ هي ما يخدمُ حاضرَنا ومستقبلَنا في الوقت نفسِه، وبهذا نبني حضارَتَنا وثقافتَنا التي نتميَّزُ بها ونفخر.

الفجوةُ الرَّقْمِيّة

إنّ مصطلح الفجوة الرَّقْمِيّة "Digital Divide"، قد ظهرَ بفعل التطوّر الهائل في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وانتشار استخدامها على نطاق واسع، شمل الدول كُلَّها والمجتمعاتِ في طبقاتها الاجتماعيّة المختلفة والأفراد في فئاتهم العمريّة المُتدرّجة؛ حيث تُعَدُّ هذا الإشكاليّةُ إشكاليّةً فلسفيّةً أخلاقيّةً مُستجدَّةً بفعل التطوّر التكنولوجيّ الحاصل وانتشار استخدامها في هذا المجال.

إنّ الاهتمام بالقِيَم، كالعدل والمساواة وغيرها، هو ما يميّزُ البشر؛ لأنّ الإنسان كائنٌ أخلاقيٌّ، وقد اهتمّتِ الفلسفةُ بمبحث القِيَم والأخلاق منذ بدايتها، وكان لها كبيرُ الدَّور في بناء الحضارات، ولكنّ البعضَ اليومَ يعتقدُ أنّ الاهتمام بالجانب الأخلاقيّ والانشغالَ به قد يعيقُ عمليّة التطوّر العلميّ، والأمرُ سيّانٌ بالنسبة إلى التكنولوجيا على نحو خاصّ بِوَصفِها من نِتاج العلم وتطوّره. والحقيقةُ أنّ التكنولوجيا التي تحتاجُ إليها البشريّةُ وتظهرُ انعكاساتُها أيضًا على الكون كُلّه يجبُ أن تنطلقَ معتمدةً

على الجانب الإنسانيّ والأخلاقيّ. وعليه، فلا بُدّ أن يواكبَ التطوّرَ العلميَّ فهمٌ أخلاقيّ، وألّا يكونَ متخلّفًا عنه وإلّا فستكونُ النتيجةُ حتميّةً في انحراف العلم والتكنولوجيا عن مسارهما الصحيح، كما يجب ألّا يغيبَ عن نظرنا أنّ «للأخلاقِ جاذبيّةً عميقةً كجاذبيّة الوجه الجميل والطبيعة الجميلة») خضر، 2019: 746)، التي هي أجملُ بكثير منَ الوجه الآخر للتطوّر التكنولوجيّ الذي يسيرُ في المجال التنافسيّ والرأسماليّ ذي المصالح الخاصّة والمنفردة بشخوصٍ معيّنة أو مجتمعاتٍ دونَ أُخرى.

وتعريفُ ومفهومِ الفجوة الرَّقْمِيّة له العديد من التعريفات لأسباب كثيرة؛ فبعضها يتعلق بجانبَ انتشار تكنولوجيا الاتصال، التي تتيحُ خدماتِ التواصل الرَّقْمِيّ وخدمةَ الإنترنت جغرافيًّا، كما أنّ هناك سببًا آخَرَ إلى تعدّد التعريفات لمفهوم «الفجوة الرَّقْمِيّة» يكمنُ في أنّ هذا المفهومَ لا زال في مجال الصيرورة؛ أي أننا إن حاولنا تعريفَهُ وحصرَهُ في جانب معين فما يلبثُ أن يتغيّر؛ لأنه لا يمكن أن يصل إلى حالة الثبات؛ وذلك لارتباطه بالتطوّر المُتسارع الذي يرافقُ التكنولوجيا الرَّقْمِيّة. ويمكنُ تعريفُ الفجوة الرَّقْمِيّة بأنها ذلك الفارقُ الذي يتشكّلُ بين مَنْ يملكُ التكنولوجيا وأدواتِها ويتقنُ استخدامَها من جهة وَمَنْ لا يملكُها أو لا يُتقِنُ

استخدامَها من جهة أُخرى، كما يمكنُ تعريفُ الفجوة الرَّقْميّة بين مَنْ يمتلكونَ التكنولوجيا على نحو مُتَساوٍ بأنها ذلك الفارقُ بين مَنْ يُتقِنُ مهاراتِ استخدامِ تلك التّكنولوجيا وَمَنْ لا يتقنُها.

وكما شهدنا سابقًا ـ عزيزي الشاب/ عزيزتي الشابة ـ فإنّ التعريفاتِ جميعَها تتطرّقُ إلى عدم تحقيق المساواة في درجة الإفادة منَ التكنولوجيا بين البشر، التي تخدمُ مصالحهم وتزيدُ من درجة تمكينهم وتعظِّمُ قدراتِهم وتؤدّي إلى زيادة رفاهيتم. كما يجبُ ألّا يغيبَ عن نظرنا أنّ البشريّة اليومَ تعاني سوءَ توزيع التكنولوجيا، الذي أقصى بعضَ المجتمعات، لا سيّما الفقيرة ، كما أدّى إلى تهميش بعض الأفراد في مختلف أنحاء العالَم، وهذا لا يقتصرُ على مجتمع بعينه دونَ مجتمع آخر؛ حَتَّى في الدول المتقدّمة والمتطوّرة تكنولوجيًّا تظهرُ هذه المشكلة بين الأفراد المهاجرين منَ البلدان الأُخرى وبين كِبار السِّنِّ وَمَنْ لا يملكون كامل القدرات الجسديّة.

وكامتداد للمشكلات الناتجة عن استخدام التكنولوجيّا والتي تظهرُ من حين إلى آخر، فقد ساهمت جائحة كورنا في وضع التصوّرات الكبيرة لمعرفة حقيقة الإمكانات والقدرات التكنولوجيّة

التي نمتلكُها ونتقنُ استخدامَها؛ إذ سلّطت الجائحة الأضواءَ على مشكلة الفجوة الرَّقْمِيّة التي كانت مؤشّرًا على النجاح أو الحدّ منه في عمليّة التعلُّم والعمل عن بُعد، وكان تأثيرُ هذه المشكلة كبيرًا في قطاع التعليم المدرسيّ، الذي اضطرّت فيه الدولُ فعلًا إلى معالجتها بأكثرَ من طريقة، ومنها فتحُ قنوات مُتَلفَزَةٍ للتعليم المدرسيّ؛ بُغيَةَ ضمان إتمام عمليّة التعليم على نحو أشمل؛ لتمكين الطلبة منَ التعلُّم وتقليص الفجوة الرَّقْمِيّة التي تحرمُهم مِن ذلك.

ما أسبابُ ظهورِ الفجوةِ الرَّقْمِيّةِ؟
ما الأسبابُ التي أدّت إلى توسُّعِها؟
هل لهذه الأسبابِ علاقةٌ بالجانبِ الاجتماعيّ أم بالجانبِ الاقتصاديّ أم بالجانبِ السياسيّ أم بجوانبَ أُخرى؟
هل هناك أسبابٌ أُخرى ترتبطُ بالقدرة على الوصول إلى المحتوى الرَّقْمِيّ؟

عزيزي الشاب/ الشابّة: أطلبُ إليكما مشكورَيْنِ ـ التفكيرَ في هذه الأسئلة ثمَّ الإجابة عنها.

أنواعُ الفجوةِ الرَّقْمِيّةِ وأشكالُها

إنّ لعدم المساواة في توزيع الدخل والثروات في العالَم العديدَ منَ التأثيرات في مختلف الاتجاهات، لا سيّما الاجتماعيّة والاقتصاديّة والتكنولوجيّة منها؛ إذ إنّ ذلك يفاقمُ مشكلاتٍ، مثل الفقر والبِطالة، اللتين تُعَدّان من أهمّ المشكلات التي تواجهُها البشريّة اليوم، إضافةً إلى مشكلات نقص الغذاء والدواء والتعليم، وهو ما ينبطقُ نسبيًّا على مصطلح الفجوة الرَّقْمِيّة الجديد؛ فالتوزيعُ غيرُ العادلِ لوسائل التواصلِ الإلكترونيِّ وخدماتِ الإنترنت والتطبيقات الحاسوبيّة يتباينُ من دولة لأُخرى عالميًّا وإقليميًّا وَمِنْ منطقة لأُخرى محليًّا. ويؤدّي عدمُ المساواة في الوصول إلى المحتوى الرَّقْمِيّ إلى ظهور أنواعًا للفجوة الرقمية.

ولذلك، فقد ارتبطت بعضُ المفاهيم الأُخرى بالتكنولوجيا الرَّقْمِيّة، ومنها مفهومُ «التمكين»؛ فوسائلُ التكنولوجيا الرَّقْمِيّة وتطبيقاتها تمكّنُ الكثيرينَ مِن مُمارسة أعمالِهم المُتعدّدةِ ونشاطاتِهم المُختلفة، وهي ما يُطلِقُ بعضُهم عليها «التكنولوجيات التمكينيّة»، بحيث أصبحت تشكِّلُ الفارقَ الحقيقيَّ في القدرات الفرديّة والمجتمعيّة، وأصبح الضعفُ فيها يُشكّلُ فجوةً رقْمِيّة بين الأفراد

والمجتمعات عالميًّا. كما إن اتاحةِ فرص الانتفاع منَ التكنولوجيا على نحوٍ عامّ وعادل مشكلة تواجهها الدول اليوم بسبب الحاجة إلى تطوير البنى التحتيّة لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات لتقليل التكلفة على الأفراد، بحيث تمكّنُهم منَ امتلاك أدوات التكنولوجيا وتطبيقاتها واكتساب مهارات استخدامِها وتتيحُ لهم النفاذَ إلى المحتوى الرَّقْمِيّ والتواصل الإلكترونيّ الفعّال. (109-(Peroni & Bartolo, 2018: 101

وتؤثّرُ مشكلةُ الفجوة الرَّقْمِيّة في جميع المجالات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة والثقافيّة، وباتّساعها فإنها تؤثّرُ سلبًا في مجالات الحياة كُلِّها؛ ولهذا فإنّ بعضَهم يُسَمّيها « فجوة الفجوات» أو «الفجوة الأُمّ» (علي وحجازي، 2005: العدد 318). وإذا تناولنا ـ على سبيل المثال ـ تعريفَ الفجوة الرَّقْمِيّة من حيثُ إنها تلك الفجوةُ التي تتشكَّلُ بسبب الفارق بين مَنْ يملكُ التكنولوجيا وَمَنْ لا يملكها، فسنعرف حينئذٍ أنها ستؤثّرُ بالتأكيد في التعليم والصّحة وفي العمل وفي التجارة والتجارة الإلكترونيّة و...، وهذا ما يؤدّي إلى تصنيفها في أكثرَ مِن شكل أو نوع وعلى مستويات عدّة، من مثل المستوى الفرديّ أو المؤسسيّ أو الدوليّ، ومن هذه التصنيفات:

ـ الفجوةُ الرَّقْميّةُ بين المتعلّمين وغير المتعلّمين.
ـ الفجوةُ الرَّقْمِيّةُ بين مَنْ يملكُ التكنولوجيا ويمتلكُ الوصولَ إليها وَمَنْ لا يملكُها ولا يستطيعُ الوصولَ إلى المعلومات؛ ولهذا السبب فهناك من نُسَمّيهم بأغنياء المعلومات، وفي المقابل هناك فقراءُ المعلومات.
ـ الفجوةُ الرَّقْمِيّةُ بين مَنْ لا يُتقِنُ استخدامَ التكنولوجيا بالرّغم مِنَ امتلاكها.
ـ الفجوةُ الرَّقْمِيّةُ بين الفئات العمريّة، وخصوصًا بين جيل الشباب وجيل كِبار السِّنّ.
ـ الفجوةُ الرَّقْمِيّةُ المتشكِّلَةُ بناءً على الجنس، فبعضُ الدول تكونُ فيها نسبةُ المُستخدِمين مِنَ الإناث أقلَّ مِنْ نسبة الذكور؛ لارتباطها بأسباب عِدّة، مثل التعليم والعادات والتقاليد وغيرها.
ـ الفجوةُ الرَّقْمِيّةُ المتشكِّلَةُ بناءً على القدرات الجسديّة.

هل يمكنُ الحَدُّ مِنَ الفجوةِ والحَؤولُ دونَ توسُّعِها؟

هناك العديدُ مِنَ المشكلات التي تعانيها المجتمعاتُ اليوم، التي تتأثَّرُ وتؤثِّرُ في بعضها بعضًا، ومنها مشكلاتُ الفقر والبِطالة

ومشكلاتُ التعليم ومحو الأُميّة وتحقيق المساواة والعدالة في توزيع الثروات والمعرفة واكتساب المهارات.

سأترك لك ـ عزيزي الشاب/ الشابّة ـ البحثَ في الحلول الممكنة، لا سيّما تلك المتعلّقة بمجتمعنا والمرتبطة بواقعنا وبأوضاعنا الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة و... على نحوٍ وثيق.

عزيزي الشاب/ عزيزتي الشابة: هل لديكُما تصوُّرٌ واضحٌ حولَ مفهوم خِطاب الكراهية أو التنمُّر؟ هل عانيتُم مِنْ هذا الخِطاب أو قابلتُم أحدًا تعرّضَ له؟

خِطابُ الكراهية قضيّةٌ أخلاقيّةٌ قديمةٌ ـ جديدةٌ حازت على اهتمام الفلاسفة وعلماء الاجتماع والقانون وغيرهم، وقد زاد الاهتمامُ بهذه الظاهرة مؤخّرًا بسبب انتشارها عبرَ وسائل التواصل في فضاءات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. ونحنُ ههُنا لن نخوض في هذا المفهوم من ناحية قانونيّة أو بما يرتبطُ به مِن تصنيفات متعلّقةٍ بأنواع جرائمها، وإنما سنتناولُهُ مِن بُعد فلسفيّ وعملي، لا سيّما أنّ الفلسفة ـ والفلسفة التحليلية بالتحديد ـ تحاولُ فهمَ خِطاب الكراهية هذا على نحو عام، وَيُعَدُّ مبحثُ القِيَم أحدَ أهمّ مباحث الفلسفة الرئيسة، كما تُعَدُّ الأخلاقُ أحدَ الموضوعات الرئيسة التي تندرجُ في هذا المبحث؛ لِذا تحاولُ فلسفةُ الأخلاق دراسةَ تأثير خِطاب الكراهية في النظام الاجتماعيّ،

لا سيّما أنّه يُؤثِّرُ على نحوٍ تراكميّ، وقد يمتدُّ إلى سنوات.

وفي هذا السياق، فقد بيّنَ دليلُ وسائل الإعلام والانتخابات في برنامج الأُمم المتحدة الإنمائيّ أنّ «مصطلحي الكراهية والعدوانيّة يُشيران إلى العواطف الفاحشة غير العقلانيّة والعداوة والمقت تجاه المجموعة المُستهدَفة» (دليل الأمم المتحدّة الإنمائي 2013). وَعُرِّفَ خِطابُ الكراهية بأنه «خِطابٌ يهاجمُ فردًا أو مجموعةً بقصد الإيذاء أو عدم الاحترام على أساس الهُويّة» (Alarhur&Chetty, 2013: 108 -118). كما يُعَدُّ التنمُّرُ أحدَ أشكال خِطاب الكراهية.

وبذا، فإنّ خِطاب الكراهية في فضاءات التواصل التكنولوجيّ هو: أيُّ تعبير مبنيٍّ على التمييز بناءً على الهُويّة أو الجنس أو الدِّين أو اللون أو الإعاقة أو المهنة أو أيِّ شكل آخَرَ مِنَ التمييز يمكن أن يُلحِقَ الضَّرَرَ بالآخرين معنويًّا أو ماديًّا، سواءٌ أنصًّا كان هذا التعبيرُ أم صورة أم فيديو أم صوتًا أم رسمًا أم شكلًا إلكترونيًّا أم أيَّ شكل مِنْ أشكال المعلومات والبيانات على نحوٍ رَقْمِيّ.

لماذا تفاقمَتْ إشكاليّةُ خِطابِ الكراهيةِ في فضاءاتِ التواصلِ وتكنولوجيا المعلومات؟

عزيزي الشاب: هناك العديدُ منَ الأسباب التي أدّت إلى تفاقم

هذه الإشكاليّة، وَمِنْ أهمّها:

ـ تتميّزُ شبكةُ الإنترنت بأنها مَنَصّةٌ لا حدودَ ثابتةً لها في تبادل المعلومات والبيانات، وتتميّزُ في الوقت نفسِهِ بتكلفةٍ منخفضة وسرعة عالية لآليّة الاستخدام والنشر عبرَها؛ فالقدرةُ على النشر الفوريّ تُسَهِّلُ نشرَ الخطابات بأنواعها، ومنها خِطابُ الكراهية والتنمُّر.

ـ استخدامُ وسائل التواصل الإلكترونيّ للتعبير يمنحُ الكثيرين الجرأة والشجاعة ليتحدّثوا بحريّة أعلى مِن تواصلهم التقليديّ كما هو الحال في حياتهم الواقعية، كما أنها في كثير مِنَ الأحيان تدفعُ بعفويّةٍ إلى نشر بعض خِطابات الكراهية عبرَ الإنترنت، وتساعدُ بعضَ الذين يبحثون عنِ الشُّهرة ويسعون إلى إظهار تميّزهم في استخدام خِطاب الكَراهية لتحقيق ذلك بطريقة سريعة وسهلة والحصول على شعبيّة فوريّة.

ـ أنّ عدم تصريح الشخص عن هويّته الحقيقيّة يشكِّلُ دافعًا لتصرّفه سلبًا دونَ الخوف مِنَ الملامةَ أو العقاب في حال عُرفت هُويَّته.

ـ التواصلُ عبرَ فضاءات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات يُعَدُّ مميّزًا؛ لأنه يجمعُ بين إخفاء الهُويّة ونقص الوجود الماديّ، والحَقُّ

إنّ الوجود الجسديَّ وخطرَ الاعتداء الجسديّ يجعلُ الناسَ يفكّرون بوعي أكبرَ قبلَ الانخراط في خِطاب الكراهية وجهًا لوجه.(Brown, 2018: 297 -326)

- الانتقالُ مِن مرحلة الاتصال إلى مرحلة النشر؛ فمرحلة الاتصال تتكوّنُ بين طرفين طرفٍ مرسلٍ وطرفٍ مستقبلٍ، كما هو الحال في مكالمة الهاتف التقليديّة، أمّا النشرُ فهو الانتقالُ إلى نشر المعلومات إلى العديد منَ الأطراف في الوقت نفسِه. وبما أنّ تكنولوجيا المعلومات تؤمِّنُ التواصلَ بسهولة إلى أعدادٍ كبيرةٍ وحشودٍ كثيرةٍ في الوقت نفسِه وبطريقةٍ زمنيّةٍ قياسية، فقد أدّى ذلك إلى سرعة انتشار هذه الخِطابات، وفي مقابل ذلك فقد كَثُرَ عددُ المتفاعلينَ معها ممّا أدّى إلى تفاقُمِها.

- عدمُ وجود معاييرَ أخلاقيّةٍ وقوانينَ عابرةٍ للحدود مُتَّفَقٍ عليها على نحوٍ كُلّيٍّ يُجَرِّمُ هذه الخطابات، كما أنّ القوانينَ التي يجري وضعُها بحاجة إلى إعادة التقييم والمراجعة بحيث تواكبُ التطوّرَ المتسارع في مجال تكنولوجيا المعلومات، لا سيّما أنّ الابتكارَ والإبداع يطوّران أيضًا أشكالًا حديثةً وأنواعًا جديدةً مِن خِطاب الكراهية والتنمُّر.

أنماطُ خِطابِ الكراهيةِ وأشكالُه

تُعَدُّ التكنولوجيا على نحوٍ عام وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات على نحوٍ خاصّ سلاحًا ذا حَدَّيْن؛ فهي تمتازُ بالجانب الإيجابيّ الذي يتمثَّلُ في سهولة اقتنائها واستخدامها، كما أن التواصلَ من خلالها واستخدامَ المِنَصّات والتطبيقات المرتبطة بها يدعمُ الإبداعَ والابتكارَ ويشجِّعُه، أضف إلى ذلك أنّ نوعيّة المحتوى المتمثِّلَةَ في التواصل البنّاء يخدمُ البشرية على نحوٍ عامّ في المجالات كُلِّها ويزيد من رفاهيتهم. وعلى الرّغم مِن هذه الإيجابيات فإنه الأمرَ ينطبقُ في الوقت نفسِهِ على خِطاب الكراهية؛ حيث تُعَدُّ فضاءاتُ التواصل التكنولوجيِّ موطنًا خصبًا لأشكال هذا الخِطاب وبيئةً مناسبةً لانتشاره.

وليسَ بالضرورة أن يكونَ خِطابُ الكراهية موجّهًا نحوَ ضحيّة بعينها أو هُويّة منفردة؛ وإنما قد يستهدفُ شريحةً كبيرة على أساس الجنس أو الهُويّة أو الإعاقة أو المهنة أو...، وقد اعتمدت المحكمةُ الأوروبيّةُ لحقوق الإنسان تعريفًا لهذا الخِطاب، فقالت إنه: «جميعُ أشكال التعبير التي تُنشَرُ أو تحرّضُ أو تروّجُ أو تبرّرُ الكراهيةَ العنصريّةَ أو كراهيةَ الأجانبِ أو معاداةَ الساميّةِ أو

غيرَ ذلك مِن أشكال الكراهية القائمة على التعصُّب، بما في ذلك التعصُّبُ الذي تعبّرُ عنه القوميّةُ والنزعةُ العرقيّةُ والتمييزُ والعداءُ تجاه الأقليات والمهاجرين والأشخاص مِن أصول مهاجرة».

(Council of Europe. (1997). RECOMMENDATION No. R (97) 20)

عزيزيَّ؛ الشاب والشابّة: هل تأمَّلتُما مفهومَي الاتصالِ والنشرِ عبرَ التواصل التكنولوجيّ؟

يتيحُ التواصلُ التكنولوجيُّ التعبيرَ عنِ الرأي الخاصِّ بالأفراد ومشاركةَ أفكارنا وآرائنا معَ الآخرين والإفادةَ منها، لا سيّما إذا كانت بناءّة وتمتازُ بحريّة التعبير. وتكمنُ أهميّةُ هذه العمليّة وفائدتُها في أنها تساهمُ في بناء الذات وتعزِّزُ الثقةَ بالنَّفس، ولكن يجبُ التمييزُ في الوقت نفسِهِ بين التواصل والنشر؛ فالتواصلُ بين طرفين مختلفٌ تمامًا عنِ النشر والتعميم، ففي مواقع التواصل الاجتماعيّ لا يكون التواصلُ محصورًا على عدد معيّن منَ المشاركين؛ فقد يشاركُ في محتوًى إلكترونيٍّ ما آلافٌ منَ الأشخاص في وقت زمنيّ قصير نسبيًّا؛ ولهذا يجب الانتباه إلى أنّ كلمتي «نحيف»، و «سمين» مثلًا قد تندرجا تحت خِطاب الكراهية، كما أنه قد يُساءُ فهمُ بعض ما هو منشور، أضِف إلى ذلك

أنّ تأثيرَ خِطاب الكراهية ونوعَهُ قد يصلُ إلى درجة أعلى من ذلك فَيُعَدُّ حينئذٍ جريمةً توقع المستخدمَ في إشكاليات قانونيّة كالتشهير مثلًا؛ فانتقادك شخصًا ضمنَ الاتصال الفرديّ الذي ينحصرُ بين طرفين يختلفُ عنِ انتقادك له عبرَ مِنَصّات التواصل الإلكترونيّ، كما أنّ بعض إساءات الاستخدام عبرَ هذه التكنولوجيا قد يتحوّلُ إلى حَدِّ عَدِّهِ إرهابًا إلكترونيًّا.

وعليه، فإنّ استخدامَ فضاءات تكنولوجيا المعلومات لإهانة الآخرين وتشويه سمعتهم أو التحريض على كراهيتهم أو تمييزهم عُنصريًّا أو معاملتهم بعُنف يندرجُ تحت خِطاب الكراهية. وهناك خِطاب الكراهية الموَجَّهُ ضدّ اتباع دِين معيّن أو مُعتَقَدٍ ما، مثل الإسلام والمسيحيّة والبوذيّة والسريانيّة والهندوسيّة و...، وهو نوعٌ مِنَ الخِطاب يتسبّبُ بِضرر كبير؛ لأنه يشملُ شريحةً كبيرةً منَ البشر، ويؤدّي إلى تشويه سمعتهم عبرَ فضاءات التواصل الإلكترونيّ بأنواعها من خلال نشر الفيديوهات والصُّور السلبيّة والمقالات والتعبيرات التي تفتقرُ إلى الدّقة والصّحة ولا تُبرزُ الصّورة الحقيقيّة، لا بل تحاولُ تشويهَها، وقد شهدنا مؤخّرًا مصطلحَ «الاسلام فوبيا»، الذي نقل الصّورة الخاطئة وأضرَّ بالكثيرين؛ ممّا تطلَّبَ معالجة هذا النوع منَ القضايا التي تنتشرُ

في فضاءات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وَتُلحِقُ الضّررَ بمجموعة كبيرة منَ البشر بإقحامهم في نزاعات هم لا يرغبون فيها ولا يُخطّطون لخوض غمارها.

أثرُ خِطابِ الكراهيةِ في الفردِ والمجتمع

عزيزي الشاب: برأيك، أَيُؤثِّرُ خِطابُ الكراهيةِ أكبرَ في الفرد أم في المجتمع؟

يمكنُ استخدامُ خِطابِ الكراهيةِ سلاحًا نفسيًّا، من خلال تعطيل الأخلاق وسائر القيم والتأثير في فهم معنى القِيم والعمل بها؛ بُغيَةَ الإساءةِ إلى السلوكِ الاجتماعيّ السليم، الذي يُمَتِّنُ العلاقاتِ الإنسانيّةَ ويتَّخِذُها وسيلةً لِزيادة اللّحمَةِ والتماسك المجتمعيّ.

أمّا كيفَ يمكنُ استخدامُ خِطاب الكراهيةِ للتأثير سلبًا في المجتمعات؟ فإنّ ذلك يتجلّى في تشويه الحقائق ونشر الخِطابات التي تخدمُ الجانبَ الكراهيَّ بهدف بَثِّ السُّمِّ بين ناشريها ومتلقّيها، ولتصبحَ أحيانًا أيديولوجيا تفتكُ بالمجتمع كُلِّه وتنشرُ ثقافةَ التحريض على العنف وعلى السلوك الذي يتنافى معَ المعايير الأخلاقيّة على نحوٍ عام. وقد يَضُرُّ خِطابُ الكراهية بمكانة

الآخرين الاجتماعيّة، فَيَمَسُّ كرامتَهم، وهو ما قد يتسبَّبُ في إثارة مشاعر القلق وانعدام الأمن، التي قد يواجهُها الآخرون، لا سيّما أعضاء الفئات المُستضعَفة. (Barendt, 2019: 539 -553). كما أنه قد يؤدّي إلى خسائرَ ماديّةٍ واقتصاديّةٍ فادحة، سواء للأفراد أو المؤسسات، وقد يهدّدُ النظامَ الاجتماعيَّ كُلَّهُ وَيَضُرُّ به أمنيًّا، وتظهرُ آثارُ ذلك كُلِّهِ على مرّ السنين. (Waldron, 2012: 4)

نفهمُ ممّا سبق ـ عزيزي الشاب ـ أنّ انتشارَ خِطاب الكراهية عبر وسائل التواصل الافتراضي (الإلكتروني) من شأنه أن يزعزع مبدأ الثقة بالفضاء التفاعلي التواصلي الإلكتروني وربما يؤدي إلى النزعة السلبية وضمور النزعة الايجابية، ويحولُ دون تَمَكُّنِنا مِنَ الإبداع؛ وبذا يتزعزعُ مبدأُ المشاركةِ في المعلومات والأفكار البنّاءة ولا نتمكّنُ حينئذٍ من نقل التجارب الإنسانيّة التي تخدمُ البشريّةَ وَتُحَقِّقُ الغاياتِ الساميةَ التي يسعى إليها عمومُ الناس. وعليه، فإنّ هذا يحيلُنا ـ عزيزي الشاب ـ إلى السؤال حولَ كيفيّة مواجهة هذه الإشكاليّة الأخلاقيّة.

ما موقفُكَ من هذه الإشكاليّةِ الأخلاقيّة؟

إنّ الكَمَّ الهائلَ منَ المعلومات التي تُنشَرُ في فضاءات تكنولوجيا

التواصل الرَّقْمِيّ لا يمكن أن تكون على توافق تامّ معَ موروثنا الثقافيّ والقِيَمِيّ؛ فمنها الكثيرُ المفيدُ ومنها الكثيرُ الزائف. وكما أسلفنا، فإنَّ التكنولوجيا سلاحٌ ذو حَدَّيْن؛ لذا لا بُدَّ من إخضاع كلِّ ما يأتينا من خلالها للنقد والتفكير، وهو ما أكدَّهُ جلالةُ الملك عبدِالله الثاني؛ إذ قال يجبُ: «ألّا نرتضي لأنفسنا أن نكوَن متلقّين فقط، بل أن نفكّرَ فيما نقرأُ وما نصدّق، ونتمعَّنَ في ما نشاركُ معَ الآخرين، ولا بُدَّ من أن نُحَكِّمَ المنطقَ والعقلَ في تقييم الأخبار والمعلومات». (مقالة بقلم جلالة الملك عبدالله الثاني، 2018)

إنّ إدراكَنا مفهومَ خِطاب الكراهية في فضاءات التواصل ووضعَ تعريفٍ دقيق له ومعرفةَ أشكالِه أمرٌ في غاية الأهميّة؛ فمعرفةُ الخطأ وعواقبِه يُجَنِّبُنا الوقوعَ فيه؛ لذا فإنّ التوعيةَ بهذا النوع منَ الإشكاليات الأخلاقيّة التي تواجِهُنا في استخدام التكنولوجيا تُعَدُّ أولى الحلول.

ولا نُنكرُ أنّ ضغوطَ الحياةِ والتطوّراتِ الاجتماعيّةَ والاقتصاديّةَ والسياسيّةَ و... تخلقُ العديدَ منَ المشكلات الاجتماعيّة، وهي بدورها تُفاقِمُ إشكاليّةَ خِطاب الكراهية على نحو خاصّ. وعليه، فتحقيقُ المساواةِ والعدالةِ يَحُدُّ من هذه الإشكاليات، كما أنّ ربط

بعض أشكال خِطاب الكراهية بالمشكلات الاجتماعيّة ومحاولةَ إيجاد حلول لها سينعكسُ حتماً عليها فَيَحُدَّ على نحوٍ إيجابيٍّ مِن تفاقمها.

كما أنّ نشرَ التعليمات والإرشادات ومدوّنات السلوك التي تمنعُ التعامل بِخِطاب الكراهية يُعَدُّ وسيلةً ضروريّة للحدِّ مِن تفاقُم هذه الإشكاليّة وتداركها قبلَ وقوعها. وفي هذا الصّدد، لا بُدَّ لشَركات الإنترنت ومزوّدي خدمتَها من أن يكونوا فاعلين في مكافحة خِطاب الكراهية عبرَ الإنترنت، فيتابعوا المحتوى الذي يندرج تحت مفهوم خِطاب الكراهية، ولا يسمحوا بنشرة أو تداوله عبرَ مِنَصّاتها.

إنّ حريّةَ التواصل و«تدفُّقَ المعلوماتِ على نحو حُرٍّ يجبُ أن يكون دائماً هو القاعدةُ وليس الاستثناء» (Gagliardone, 2015 :5)، ولكنّ ذلك لا يمنعُ من وضع القوانين التي تحكمُ التواصلَ وتضبطُ استخدامَ التكنولوجيا وأدواتها على نحو سليم، بحيثُ لا يتعارَضُ ذلك معَ حرّية الرأي والتعبير، كما لا بُدَّ من إعادة النظر فيها ومراجعتها باستمرار بحيثُ نطمئنُّ إلى نجاح تطبيقها بما يواكبُ التطوّرَ التكنولوجيّ. وقد ذكرَ جلالةُ الملك عبدِالله الثاني

أنه قد «أصبحتِ الحاجةُ اليومَ مُلِحَّةً لتطوير تشريعاتنا الوطنيّة، بما يؤكِّدُ صونَ حريّة التعبير وحمايتَها، ويحفظُ حقَّ المواطنين في الخصوصيّة، ويقضي على الإشاعات والأخبار المُضَلِّلة، ويمنعُ التحريضَ على الكراهية». (مقالة بقلم جلالة الملك عبدالله الثاني، 2018)

ولذلك ينبغي لنا -عزيزي الشاب- فهمُ أنّ مكافحةَ خِطابِ الكراهيةِ تتطلّبُ جُهدًا مُشتركًا، ينخَرِطُ فيه الأفرادُ، لا سيّما أنتم جيلُ الشباب وفرسانُ التغيير، والمؤسساتُ والحكومات، معَ عدم إغفال الدَّور الذي تؤدّيه وسائلُ الإعلام.

الخاتمة

عزيزي الشاب/ عزيزتي الشابّة

قد يصعبُ ذِكرُ المشكلاتِ الفلسفيّةِ المتعلّقةِ بالتواصل التكنولوجيّ أو الخوضُ بها والوقوفُ على تفاصيلها الدقيقة على نحو أوسعَ في كُتيّب؛ لِذا كانتِ الغايةُ والهدفُ بالدرجة الأولى نشرَ التّفَلْسُفِ الخَلّاق وإشاعة التفكير الناقد في هذه القضايا، وإبرازَ دور الفلسفة التطبيقيِّ ـ وإن كان بعضُ الفلاسفةِ يُقِرّونَ بأنّ الفلسفةَ تطبيقيّةٌ بالضرورة ـ وأهميَّتِهِ في الجانبِ العلميِّ والتكنولوجيّ، الذي يركِّزُ على الفائدة منَ التكنولوجيا واستخدامها؛ فالتطوّرُ والتفكيرُ العلميُّ والتكنولوجيُّ لا بُدَّ أن يوازيَهُ تفكيرٌ وفهمٌ فلسفيٌّ وأخلاقيّ، وهو ما يَصُبُّ في جانب النزعةِ الإنسانيّةِ والتضامن الإنسانيّ، الذي يضمنُ بقاءهُ له على هذا الكوكب، وَيُمَكِّنُهُ منَ الوصول إلى نقطةِ التفاهُمِ المُشترك وتحقيق الرفاهيةِ والسعادة.

مصادرُ الدراسة ومراجعُها

المراجعُ العربيّة

1. ابن طيفور، مصطفي وبوعمامة، العربيّ، تأثير وسائل الإعلام على تشكيل الهُويات الثقافيّة في ظلّ العولمة: قراءة الواقع واستشراف المستقبل، الحكمة للدراسات الإعلاميّة والاتصاليّة ـ مؤسّسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع ـ الجزائر، العدد 7، 2016، جانفي ـ جوان، ص134 - 149.
2. الزواوي بغوره (2012)، الاعتراف من أجل مفهوم جديد للعدل، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1.
3. أحمد، إبراهيم (2006)، إشكاليّة الوجود والتِّقَنِيّة عند مارتن هيدجر، الجزائر: منشورات الاختلاف، بيروت: الدار العربيّة للعلوم ـ ناشرون.
4. أرسطو طاليس، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ترجمه مِنَ اليونانيّة إلى الفرنسيّة بارتلمى ساتهلير، ونقله إلى العربيّة أحمد السيّد، (1924)، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصريّة، الجزء الأول.
5. برتراند رسل (1995)، غزو السعادة، تعريب سمير شيخاني، بيروت: دار الأمير للثقافة والعلوم، الطبعة الأولى.
6. برنامج الأُمم المتحدة الإنمائيّ، وسائل الإعلام والانتخابات: دليل عمليّ لممارسي تنظيم الانتخابات، نيويورك، أُكتوبر 2013.

7. بوبر، كارل (1998)، المجتمع المفتوح وأعداؤه، ترجمة: السيّد نفادي، لبنان: دار التنوير للطباعة والنشر.
8. جان نيدرفين بيترس (2015)، العولمة والثقافية المزيج الكوني، ترجمة خالد كسروي، القاهرة، المركز القوميّ للترجمة، الطبعة الأولى.
9. جمال الدين ابن منظور بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، مجلد 10، ط1، دار صبح، لبنان، 1968.
10. زيادة، معن، الموسوعة الفلسفيّة العربيّة، مج1، معهد الإنماء العربيّ، ط1، بيروت، 1986.
11. زيدان، محمود (2012)، نظريّة المعرفة، مكتبة المتنبي، السعوديّة، ط1.
12. سبيلا، محمّد (2009)، مدارات الحداثة، بيروت، الشبكة العربيّة للأبحاث والنشر.
13. سموللا، رودني (1995)، حريّة التعبير في مجتمع مفتوح، ترجمة: كمال عبد الرؤوف، القاهرة، الجمعيّة المصريّة لنشر المعرفة والثقافة العالميّة.
14. سناء عبد الحميد خضر، برجسون ـ جدليّة الزمان والأخلاق بين النسبيّة والإطلاق: دارسة نقديّة في تأويل الزمان، سلسلة أبحاث المؤتمر السنويّ الدوليّ «كيف نقرأ الفلسفة» ـ قائمة المقالات، المجلد 4، العدد 8، 2019، ص707 - 780.
15. عبد اللطيف، نبيل (2010)، فلسفة القِيم: نماذج نيتشوية، القاهرة، سلسلة المكتبة الفلسفيّة، دار التنوير للطباعة والنشر.

16. علي، ن وحجازي، ن، (2005)، الفجوة الرَّقْمِيّة: رؤية عربيّة لمجتمع المعرفة، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد 318.
17. فيري، لوك (2011)، تعلُّم الحياة: سأروي لك تاريخ الفلسفة، ترجمة: سعيد الولي، أبوظبي، أبوظبي للثقافة والتراث ـ كلمة.
18. لشهب، حميد (2013)، يورغن هابرماس وجوزف راتسنغر: جدليّة العلمنة العقل والدِّين، لبنان، جداول للنشر والترجمة والتوزيع.
19. ليلي، وليام (2000)، مقدّمة في علم الأخلاق، ترجمة: عبد المعطي محمّد، الإسكندرية، منشأة المعارف.
20. مجاهد، مجاهد عبد المنعم (1968)، مِنَ الاغتراب إلى الاشتراكيّة إلى الاغتراب، مصر، المؤسّسة المصريّة العامّة للتأليف والنشر ـ الفكر المعاصر، العدد 44، أكتوبر 1968، ص69 - 78.
21. مقالة بقلم جلالة الملك عبدالله الثاني بعنوان: منصّات التواصل أم التناحُر الاجتماعيّ؟ نشرت في الصحف الأردنيّة 30 تشرين الأول/ أكتوبر 2018. https://kingabdullah.jo/ar/op - eds
22. مل، جون ستيوارت (2012)، النفعية، ترجمة: سعاد شاهرلي حرار، بيروت: المنظمة العربيّة للترجمة، ط1.
23. هبرماس، يورغن (2010)، إتيقيا المناقشة ومسألة الحقيقة، ترجمة: عمر مهيبل، بيروت: الدار العربيّة للعلوم ناشرون، والجزائر: منشورات الاختلاف.
24. يورغن هبرماس (2003)، العلم والتِّقَنِيّة كايدولوجيا، ترجمة حسن صقر، منشورات الجمل، ط1.

المراجعُ الإنجليزيّة

1. Barlow, J. P. (1991), Coming into the Country Communications of the ACM, 34(3): 19- 21.
2. Barclay, E. (2008), Indigenous groups document environmental destruction using GPS and Google Earth. Retrieved December 27, 2008 from www.treehugger.com/files/200801//indigenous-peru.php
3. Barendt, E. What Is the Harm of Hate Speech?. Ethic Theory Moral Prac 22, 539- 553 (2019).
4. Brown, A. (2018). What is so special about online (as compared to offline) hate speech? Ethnicities, 18(3), 297- 326.
5. Bynum, T. (2010), The historical roots of information and computer ethics, In The Cambridge Handbook of Information and Computer Ethics, edited by L. Floridi, 20-32.
6. Chetty, N., & Alathur, S. (2018). Hate speech review in the context of online social networks. Aggression and violent behavior, 40, 108 - 118.
7. Council of Europe. (1997). RECOMMENDATION No. R (97) 20, https://rm.coe.int/CoERM Public Common SearchServices/Display DCTM Content?documentId=090

0001680505d5b Accessed 6 February 2021.
8. Dewey, J. (1916). Democracy and education. New York: Macmillan.
9. Floridi, Luciano (2010), Ethics after the Information Revolution, In The Cambridge Handbook of Information and Computer Ethics، edited by L. Florid, Cambridge: Cambridge University Press.
10. Giddens, A. (1984) The Constitution of Society: Outline of a Theory of Structuration. Berkeley, CA: University of California Press.
11. Global Network Initiative (2008), Global network initiative. Retrieved November 11, 2008 from http://www.globalnetworkinitiative.org/
12. Grassi, P. A., Fenton, J. L., & Garcia, M. E. (2017). Digital Identity Guidelines [including updates as of 12 2017 - 01 -] (No. Special Publication (NIST SP) 3 - 63 - 800 -).
13. Hong, J. Y., Kim, S. H. and Kim, J. H. (2013), Cyberspace and Intercultural Strategy. International Journal of Smart Home, 7(3), 111- 120.
14. Horniak, V. (2004), PRIVACY OF COMMUNICATION ETHICS AND TECHNOLOGY, Department of Computer Science and Engineering, Mälardalen University, p.16.
15. January W. Payne, “What to Do If Your Child Is Bullied Online,” U.S. News and World Report, December 4, 2007.

16. Keniston, K. and Kumar, D. (2003), The four digital divides. Online erişim, 21, 2010.
17. Kim, T. W., & Werbach, K. (2016). More than just a game: ethical issues in gamification. Ethics and Information Technology, 18(2), 157 .173 -
18. Kim, T. K. (2005), 'Electronic Storm: Stormfront Grows a Thriving Neo - Nazi Community', Intelligence Report, Southern Poverty Law Center.
19. Okano, Y., & Spilka, B. (1971). Ethnic identity, alienation and achievement orientation in Japanese - American families. Journal of Cross - Cultural Psychology, 2(3), 273 282 -.
20. Rheingold, H. (1998), Virtual Communities, The Community of the Future, New York: Harper Collins, pp.115 124 -.
21. Shapira, N., Barak, A. and Gal, I. (2007), Promoting Older Adults Well - being through Internet Training and Use. Aging and Mental Health, 11(5), 477–484.
22. Van Dijk, J. (2010), Study on the Social Impact of ICT - Topic Report 3 (D7. 2). Universität Siegen, Germany.
23. Waldron J (2012) The harm in hate speech. Harvard University Press, Cambridge, Mass.

ـ **التواصلُ التكنولوجيّ**: يقصدُ به استخدامُ وسائل التواصل في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وأدواتها وتطبيقاتها للتواصل الإنسانيّ بين البشر، وتشملُ الإنترنتَ والمواقعَ الإلكترونيّة؛ ومنها مواقعُ التواصل الاجتماعيّ، وكذلك أجهزةَ الحاسوب والتطبيقاتِ التي تستخدمُ للتواصلِ من خلالها، إضافةً إلى الأجهزة الذكيّة بأنواعها، ومنها الهواتفُ النقّالةُ الذكيّةُ وما تحتويه من تطبيقات تُستخدمُ للتواصل عبرَها. وعليه، فإنّ التعريفَ لا يُختزلُ في مواقع التواصل الاجتماعيّ حَسْبُ.

ـ **الحَرَمُ الذكيّ**: هو المكانُ أو الحَرَمُ الذي تُستخدمُ فيه الأنظمةُ الإلكترونيّةُ الذكيّةُ المرتبطةُ بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، ويضمُّ الأجهزةَ الإلكترونيّةَ المختلفةَ وبرامجَ الحاسوب وأجهزةَ الاستشعار لجمع البيانات من أجل إدارة هذا الحَرَمِ بكفاءة وإنتاجيّة عالية.

ـ **الأنطولوجيا**: أحدُ المباحث الفلسفيّة الرئيسة، وتُعنى بالبحث في الوجود، وتطرحُ العديدَ منَ التساؤلات، التي منها: ما طبيعةُ الوجود؟ ما أصلُ الوجود؟ هل هو كثرةٌ أم لا؟ هل هو وجودٌ ماديٌّ فقط أم لا؟

ـ **الأيدولوجيا**: نَسَقٌ سائدٌ مرتبطٌ بمجموعةٍ معيّنةٍ منَ الأفكار والمُعتقدات التي يتمسَّكُ بها الفرد، وهي أفكارٌ قد لا ترتبطُ بالوعي وَتَشَكُّلِ فهم العالَمِ الاجتماعيّ المُعاش، إنّما ترتبطُ بتبرير العمل الجماعيّ أو تأييده.

ـ **الاغتراب**: ابتعادُ المُستخدِمِ وعجزُهُ عنِ التعبير عن هُويّته الحقيقيّةِ ومحاولة إقناع نفسِهِ بالهُوِيَّةِ الرَّقْمِيّة لإتمام شروط عمليّة التواصل التكنولوجيّ.

ـ **الفجوةُ الرَّقْمِيّة**: هي ذلك الفارقُ الذي يتشكّلُ بين مَنْ يملكُ التكنولوجيا وأدواتها وَيُتقِنُ استخدامَها وَمَنْ لا يملكُها أو لا يُتقِنُ استخدامَها.

ـ **خطابُ الكراهيةِ في فضاءاتِ التواصلِ التكنولوجيّ**: هو أيُّ تعبيرٍ مبنيٍّ على التمييز بناءً على الهُويّة أو الجنس أو الدِّين أو اللون أو الإعاقة أو المِهنة أو أيِّ شكلٍ آخَرَ يمكنُ أن يُلحِقَ الضَّرر بالآخرين معنويًّا أو ماديًّا، سواءٌ أَنَصًّا كان هذا التعبيرُ أم صورةً أم فيديو أم صوتًا أم رسمًا أم شكلًا إلكترونيًّا أم أيَّ شكلٍ مِن أشكال المعلومات والبيانات على نحوٍ رَقْمِيّ.